عوامل النجاح وتحقيق الأمل
من خلال
تجربة حية . و . نماذج رائدة

الأستاذ الدكتور

أحمد أحمد غلوش

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق

جامعة الأزهر

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ،،،

فهذا هو سبب ظهور هذا الكتاب

طلب منى كثيرون من الإخوة الفضلاء الذين لا أشك في إخلاصهم وصدقهم ، أن أسجل مسيرة حياتي ، وأبرز أهم الوقفات التي أثرت في عملي ونشاطي .

وبرغم أنى أكره الحديث عن الذات مخافة أن أقع في صفات لا أرتضيها أو أحكى قصصا لا فائدة فيه ..

برغم ذلك فقد عشت مع طلب هؤلاء الإخوة ، وناقشتهم في سبب رغبتهم تلك ، وفى الآمال المرجوة من وراء تسجيل قصة حياتي .

بينوا سبب رغبتهم ، ودوافعهم وراء هذا الطلب ، ووضحوا لي أنى أعيش قضايا الناس ، وألامس خواطر الشباب ، وقد وفقني الله في الوصول إلى آمال وأحلام يتمناها كثير من الناس .

فلقد تدرجت في مراحل التعليم بدءا من كتاب القرية حتى حصلت على أرقى الدرجات العلمية .

وقمت بالتعليم والتدريس بعد الحصول على الدكتوراه في عدد من الجامعات العربية .

وباشرت الدعوة إلى الله تعالى من خلال الدرس ، والمسجد ووسائل الإعلام المختلفة .

ورزقني الله الولد والمال ...

وقابلت العديد من المصاعب والبلايا .

وكان العمل معي صنو العلم ، والسعي للدنيا في إطار قصد الآخرة .

ونجحت مادياً ، ووفقني الله علمياً ، وصرت أملك مع غيري عددا من الأنشطة التعليمية ، والطبية ، والتجارية ، والصناعية والترفيهية داخل مصر وخارجها .

وحافظت في حياتي على حق الله ﷻ وحقوق العباد مستعيناً بما فقهت من دين الله ﷻ .

وفى ذلك قصة نجاح لها أسبابها وعواملها ، هيأ الله سببها ، ويسّر عواملها وساقنى إليها وأعان على أن تصل السفينة إلى بر الأمان سالمة مظفرة .

ذكر إخوانى ، وزملائي ، وأصدقائي ذلك وأكثر ، وأكدوا على أهمية الدروس التي يمكن استنباطها من حياتى المليئة بآمال قد تحققت ، وأخرى لم تتحقق ، وبخاصة أن الناس مولعين بالنجاح المشاهد أمامهم ، ولهم في سببه مذاهب شتى ، والأولى أن يعرفوا

الحقيقة من صاحبها .

وعدت لنفسى ، وراجعت عمرى ، وعشت في قمة شيخوختى ونظرت وأنا في هذه القمة إلى المسار الطويل الذي قطعته بدءاً من مولدى ، ومروراً بكل السبل ، وجميع المسالك التي سلكتها خلال هذه الرحلة .

ووجدت نفسى في إطار من المتغيرات والأحداث أحمد الله أن مكننى من كل ما أنعم به على ، وصاننى من كل العواطف التي أغرقت أحلام كثير من أصحابى وزملائى .

لقد عاشرت أهل القرية والمدينة ، وعشت حياة العسر واليسر ، وعملت بين أقراني في القرية عملهم ، وكنت مع الدارسين زميلاً وصاحباً ، ومع الأساتذة تلميذاً طائعاً ، ومع طلبتى أباً شفوقاً رحيماً وحلمت بالود .. وللصحبة .. وللتعاون ، وكرهت الخصومة والبغضاء .

وعشت صور الفقر وملامح الغنى .

وباشرت العمل في أكثر من مجال .

وعرفت روح البطالة . وسعدت بقوة العمل .

وحالفنى النجاح . ولحقنى الفشل .

وقابلنى اليأس . وحركنى الأمل .

وتعاملت مع أهل التقى ، وعاشرني المنافقون ، والتقيت بألوان

عديدة من الناس ، استفدت من كرامهم ، ونجوت من خبث اللئام منهم .

وكان الطريق طويلا وشاقا . وكنت معه أنظر بعيداً فأرى في نهاية النفق مصباحاً ينير لى الطريق . ويجدد أمامى الأمل .

إنها حياة **. حقا .** مليئة بالسعى ، والكفاح ، والصبر ، والتحمل فى إطار عبودية قانته لله رب العالمين .

وكان عون الله معي فعشت للأمل حتى تحقق ...

وهذا هو الذي يجب أن أسجله دروساً وعبراً لمن بعدى .

استمرت هذه الخواطر معى مدة ، تنتابنى الرغبة والرهبة ، وكنت أتقدم أحيانا ، وأتراجع أخرى ... وهكذا حتى هيأ الله ﷻ لى كتابا يتحدث عن أسباب النجاح ، وعوامل الفشل من جهة نظر علمانية محضة .

ورأيت إقبال الناس على هذا الكتاب رغم أنه لمؤلف عاش في بيئة غريبة عن الإسلام ، وجاءت استشهاداته كثيراً من حياة مشاهير النهضة الحديثة في العالم المعاصر .

وهنا ...

قلت لنفسى :

لقد حكى المؤلف قصة حياته بإختصار ، وفيها تدرج من القاع الذي كان فيه حتى وصل إلى القمة التي هو عليها الآن .

ومن خلال قصته حدد أسباب النجاح ، وفصل في كل واحد

منها ، مستدلا بتجاربه الذاتية ، وتجارب المشاهير الذين أثروا النهضة الحديثة رقيا وتقدما ، وصار لكل منهم تأثير واضح في المجال الذي عاش فيه ، حتى صار علما عليه ، وقدم المؤلف بذلك عملا شيقا ، يشعر من يقرؤه بأنه أمام تمثيلية حركية ، تجذب السمع والعين ، وتسيطر على الأحاسيس والخواطر .

وقلت لنفسى مرة أخرى

ألا يوجد في البيئة الإسلامية أناس يشبهون هذا المؤلف عاشوا الحياة بحوادثها ، وأحداثها ، وأتاهم اليأس ، كما أشرق لهم الأمل ، واستمروا في التجربة حتى انتهوا إلى نجاح مشهود يتمناه الناس ، ويريدون الوقوف على أسبابه ، وعوامله الشخصية والدينية ، والاجتماعية ؟!!!

إن البيئة الإسلامية مليئة بصور النجاح التى عاشها المؤمنون فى سائر العصور ، وجميع الأماكن .

ورأيت نفسى أقارن بين مرجعيات المؤلف في كتابه المذكور وبين غيره من المسلمين لو ألف كتابا في الموضوع نفسه ، وبالمقارنة اتضحت فروق عديدة :

أولاها : المؤلف المذكور اعتمد على تجاربه الذاتية ، وربطها بفكره ، وعمله ، من غير أن يشير إلى قوة أعلى من قدرته يمكن أن تتحكم في عمله ، وتوجهه حسبما تشاء .

أما العالم المسلم فهو يعتمد على تجاربه ، وفكره ، وعمله ، مع

ربطها بقضاء الله وقدره ، وبذلك يبذل المسلم جهده كله ، راضيا بما يكون ، لأنه قضاء الله الذي لا راد له ، من غير توان ، أو كسل ، لأنه لا يعرف ماذا سيكون ؟

أما غير المسلم فإنه يصاب باليأس والقنوط ، لأن الإيمان بالقدر الإلهى بعيد عنه ، فهو لا يقره ، ولا يؤمن به على وجه صحيح .

ثانيها : المؤلف المذكور يستشهد بتجارب علماء الغرب ورجال النهضة الحديثة ، ولهذه التجارب آثارها الواضحة في القارئ المعاصر ، والعلم بها تعريف بقدر هؤلاء الرجال عند القارئ بسبب ما قدموا لوطنهم ، وللإنسانية كلها .

أما العالم المسلم فإنه سوف يربط تجاربه بمؤثرات من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وتجارب السلف الصالح ، مع إيراد ما يمكنه من تجارب رجال النهضة الحديثة من العرب ، ومن غيرهم ... وبذلك يتحقق للمسلم شمول النظرة ، وعمومية التجربة وتنوع النماذج ، وتعدد الدلالات والرؤى ، وهو بهذا يقدم دراسته لكل الناس على اختلاف أفكارهم وتوجهاتهم ، وفي نفس الوقت يبرز دور رجال الأمة الإسلامية ، ويبين ما لهم من منزلة عند الله ﷻ ، وعند الناس ، ويسجل كذلك أمجاد الأمة الإسلامية في تاريخها التليد ، ونهضتها العالية ، بواسطة هؤلاء الرواد الكبار .

ثالثها : يتمتع العالم المسلم بالمرجعية المؤثرة لاعتماده

على شواهد إيمانية ثابتة ، ومحفوظة ، ولمساهمته في صناعة إنسان بمنهج الله يستفيد من الدنيا ، ويرجو الآخرة ، ويعمل لخدمة ذاته ، وأمته ، ودينه .

رابعها : المعالم المسلم يعلق على سائر التجارب البشرية ، ويحدد ما يجوز فيها ، وما لا يجوز ، وفق شرع الله تعالى ، وبذلك يحدد المسار المشروع ، ويبتعد عن غير المشروع في سائر الحالات والأقوال ، وتلك نقطة هامة لأني رأيت المؤلف يورد نماذج رائدة في كتابه لا تجوز في دين الله ﷻ كشرب الخمر ، والتعامل بالربا ، والاهتمام بدور اللهو والرقص ، والاختلاط بين الرجال والنساء .

خامسها : الأمة الإسلامية في وضعية سيئة ، لا تساعد بنيها على سهولة النجاح ، فهي مليئة بالمحاذير والمخاوف ، وفيها الفساد واللامبالاة ... وذلك يحتم دروساً ملائمة لها ، مراعية لوضعيتها ، لأن النجاح له شروطه ، وعوامله .

إن كتابا إسلاميا يعيش مع عوامل النصر والنجاح ، مؤلفا بالمنهج الحديث مستفيدا من علوم العصر وعلمائه ، جدير بالقراءة ، وحرى أن يستفاد به وبتجاربه .

وهنا ...

ارتاح ضميرى لأقوم بتنفيذ ما طلبه المخلصون منى ، عسى أن يحقق الله به النفع ، وأملي أن أنطلق بنصائحي من الواقع

الموجود ، من نماذج وفقها الله للنجاح ، وهداها بالحق ، ويسر لها السبيل .

وإنى هنا أحدد ابتداء ملامح ما سوف أكتبه سائلا عون الله ، وتوفيقه ، فهو مقصدى ، ورضاه غايتى ، وعليه توكلت وإليه أنيب.

ولن أغرق هذه الملامح في متاهات الفكر ، أو آثار الواقع حتى لا يتوه القصد ، ويضيع الهدف ...

- ♣ سوف ألتزم بالحقيقة في كل ما أذكره ، وأذكر المصدر في كل ما أوثره عن غيرى ، ولن أبالغ في أي أمر ، ولن أفصل فيما لا يفيد ، ولن أجمل في أمر يحتاج لتفصيل .
- ♣ وسوف أذكر موجزاً سريعا عن سيرتى ، وبخاصة فى الإطار العلمى والعملى ، مع إبراز القضايا الهامة والركائز الأساسية التي تأثرت بها ، وإجمال بعض الملامح التي ليس لها أهمية عندى ، ليعرف القارئ خصائص وحياة من يقرأ له ، وبخاصة أن ما يقرؤه هو تجارب ذاتية ، للتاريخ فيها دور وأهمية .
- ♣ لن يقدم الكتاب سيرة متكاملة ولا ذكريات متتابعة لأنه محاولة لإعطاء صور من العمل ، والتحمل والصبر فى تحقيق الأمل .

- سوف أسرد عوامل النجاح بصورة تفصيلية ، عاملا وراء الآخر وفق ترتيبها الإجمالى ، وبذلك أكون قد فصلت في النهاية صورة واضحة لمنهج الحركة التي عشتها ، والتى أقدمها لغيرى عبراً ومنهجاً يحقق النجاح والأمل .
- سوف أقسم الكتاب إلى قسمين ، **قسم يتحدث** فى صورة مجملة عن حياتى بكل صدق ، وتجرد ، أمام النفس ، وبكل مسئولية أمام الله تعالى .

وفى **القسم الثانى** سوف أتناول عوامل النجاح بالحديث المفصل ..... مع ملاحظة أن هذه العوامل هى رؤيتى الشخصية ..... وليس هناك ما يمنع من إيراد عوامل أخرى يراها غيرى من الناس .

- لا أدعي أن حياتي خلت من الفشل ، ولا أقول إنها كانت النجاح الدائم ، فهي مليئة بالصعود والهبوط ، وبالسهولة وبالصعوبة ..... ولكن الذى أؤكده أن المصاعب والفشل كانت تتحول إلى نجاح بسبب لم أكن أتوقعه ، وبطريقة لم أتصور حدوثها ، لكنه قدر الله الذي قضى بما حدث، وحول ما تصورته فشلاً إلى نجاح وفلاح .
- أؤكد بكل يقين أن رحمة الله ﷻ كانت تحيطنى ،

وكثيراً ما عجزت عن تحقيق ما آمله ، وبعد مدة أراني موفقاً بما قدره الله ﷻ لي ، برغم بعده عن أحلامي ، ومغايرته لما كنت أتمناه .

- ♣ أقرر. حماية الله تعالى لمسيرتى ،. فكثيراً. ما وضعت أمامى المعقبات. المدمرة. وكثيراً. ما انزاحت بطريقة عجيبة لا يقدر عليها إلا خالق الوجود ﷻ .
- ♣ اسأله سبحانه وتعالى أن. يديم لى عونه ،. وتوفيقه لأعيش مسلما فى جنبات رحمته ، وأعلو بقدره ﷻ عن سفاسف الأمور. ،. ومغريات. المادة ،. ولستمر طائعاً مستقيماً إلى أن ألقاه فى اللحظة التى يريدها سبحانه وتعالى .
- ♣ أكرر إقرارى بفضل الله على إذ لولا معونته ما كنت شيئا ... فله سبحانه الشكر على ما أعطى ،. وله سبحانه الحمد على ما قضى ،. وقدر. ،. وهو حسبى ونعم الوكيل .

أ.د / أحمد أحمد غلوش

القسم الأول

الحمد للّه
هذه هى حياتى
للّه بلا رتوش للّه

قدر الله تعالى أن يكون مولدى ، وتكون نشأتى في أحدى قرى مركز كفر الشيخ ، التابع لمحافظة الغربية ، التي تحولت تبعيتها بعد ذلك إلى محافظة كفر الشيخ بعد إنشائها[١] ، وهذه القرية تعرف باسم " **منية مسير** " وهى واحدة من عدد من القرى المضافة لـ " **مسير** " الذي يقال إنه اسم لرجل تركى ملك أراضى هذه المنطقة فى العهد العثمانى ، ولذلك أضيف كل نجع وصقع فيها إلى مسماه .

وهذه القرى هي **منية مسير** ، **ومحلة مسير** ، **ونجع مسير** ، بالإضافة إلى البلدة الأم وهى " **مسير** " .

تشير شهادة ميلادي الرسمية أنني ولدت في اليوم العاشر من شهر أكتوبر عام ست وثلاثين بعد ألف وتسعمائة ، وهو اليوم الذي ولدت فيه كما أكد لي والدي الذي بلغَّ المسئولين عن ولادتى.

---

(١) أنشئت محافظة **كفر الشيخ** عام ١٩٥١م ، وجعلت حاضرتها مدينة كفر الشيخ ، وكانت قبل ذلك تابعة لمحافظة الغربية التى عاصمتها مدينة " طنطا " .

(١٦)

يخبرنى والدى بحادثه مرَّ بها انتهى منها يوم مولدى ، **وكان يربط بين مولدى وبينها كثيراً** ، وهى أنه مرض مرضاً خطيراً أجْبره على رهن أرضه التى ورثها من والده بقرض مالى أخذه من التجار اليونانيين ، الموجودين فى القرية ، وفق نظام ظالم ، وهو أنهم كانوا يأخذون نتاج الأرض المرهونة ، حتى يتم سداد القرض بفوائده المرتفعة خلال مدة معينة ، وإن لا استولوا على الأرض ، وباعوها لصالحهم .

يقول والدى : لقد أعاننى الله على تسديد القرض ، واسترجاع الأرض يوم مولدى الذى تفاءل به كثيراً .

وقد نشأت فى قرية " **منية مسير** " وهي قرية إذا قورنت بقرية " **مسير** " الملاصقة لها فإنها تتميز بقلة عدد سكانها ، وصغر مساحتها ، وندرة ملاك الأراضي فيها ، وتبعية أغلب أراضيها الزراعية لملكية وزارة الزراعة ، وقلة دخل بنيها لذلك ... ويتصف سكانها بصورة عامة بالطبع المطيب ، والميل إلى الاستكانة والرضى .

وهى قرية مكونة من عدد من العائلات ، أكبرها عائلتى " كلبوش " . " والمعتربى " . ..... والعائلات كلها مترابطة بالمصاهرة والقرابة .

ولا تجد في طبع أبناء " **منية مسير** " ما تراه عند الآخرين . فحبهم للسكون منعهم من التجارة والمخاطرة ، وعزلتهم أبقت أغلبهم

عاملين في مزارع وزارة الزراعة ، وميلهم إلى الهدوء والراحة حرمهم من الغنى والتيسير ، وارتباطهم ببلدهم أبعدهم عن السفر والترحال ، وقلة طموحهم جعلتهم لا يهتمون بتعليم أبنائهم ،. حيث عاشت القرية النصف الأول من القرن العشرين وليس فيها من العلماء إلا عالم واحد عاش بينهم إماماً ، وواعظاً ، ومفتياً ، ومأذوناً شرعياً ، إلا أن الأمر تغير فى النصف الثانى من القرن العشرين حيث اهتم الناس بالتعليم ، والعمل ، والحركة فلا يوجد بيت فى القرية إلا وفيه جامعيون ومثقفون ، لدرجة أن عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه فى نهاية المقرن. يزيد عن خمسين أستاذاً. جامعياً فى مختلف التخصصات ... وهذا تطوّر جميل نسأل الله أن يصبغة بالإيمان ، والخلق ، والمودة ...

ولدت بهذه القرية لأبوين عاديين يماثلان أغلب أسر القرية ، ونشأت بها ، واستنشقت هواءها ، وأكلت طعامها ، وشربت ماءها ، ولعبت مع أقرانى في دروبها ، وصاحبت زملائى من أبنائها في العمل والكتَّاب ، ولذلك كان لها في القلب منزلة ، وفى الحياة حب ومودة .

ذهب بي والدي إلى الكتَّاب وعمري خمس سنوات ، وانتسبت فى نفس الوقت للمدرسة الابتدائية ذات. الفصل الواحد ،. وكنت أشارك إخوتي في العمل الزراعى آخر النهار ، وفى الأجازات ، وحين الحاجة إلىّ .

وأسرتى " **غلوش** " عائلة صغيرة أتاها " جدى " الأول " **أحمد** " مهاجراً للتجارة ، وتزوج من أسرة " **الصعيدى** " إحدى أسر القرية المتوسطة الحال ، المعروفة بحسن العشرة ، وهدوء الطبع ، وأنجب جدى من زوجته " **مريم** " ولدين وبنتا هما والدى " **أحمد** " وعمى " **السيد** " وعمتى " **فاطمة** " ، ورحل جدى عنهم وهم **صغار** ، بعدما ترك لهم أرضاً زراعية مملوكة ورثوها عنه ، في وقت كانت الأرض كلها في القرية مملوكة لوزارة الزراعة .

عمل جدي بالتجارة التي لم يكن يهتم بها المصريون في هذا الوقت ، إذ تركوها للأوربيين الذين جاءوا مع الاستعمار ، وانتشروا في قرى مصر ، يتعاملون بالربا ، ويزرعون في الناس لعب الميسر ، وشرب الخمر ، وممارسة البغاء[١] .

لم يتاجر جدي في تجارة هؤلاء الأجانب ، ولم يتشبه بهم ، وإنما كان يذهب للإسكندرية ، ويحضر صفقة حبوب زراعية ، ويبيعها لأهل القرية راضياً بالربح القليل ، لذا أحبه الناس ، وتعاملوا معه .

وقد اشتهر جدي بطيبة القلب ، وحسن المعاملة ، وأداء حق الله ﷻ عليه ، وكان يكثر من الصدقات ، والنفقات على الفقراء في

---

(١) كان في قرية " **مسير** " مؤسسة أوربية يملكها بعض اليونانيين بها متجر يسمى بـ " **الخمارة** " لتقديمه الخمور ، وتعامله بالربا ، وعاش أصحاب هذه المؤسسة في حماية الاستعمار الإنجليزي فلما رحل رحلوا .

كل صفقة ينتهي منها ، ويحاول أن يقدم صدقاته لمستحقيها سراً تحت جنح الظلام في صورة نقود ، وحبوب ، وملابس ...

يقول بعض معاصريه : إنه كان يعطي الصدقة وقد أخفى وجهه ، وكتم صوته في لحظات يختفي بعدها سريعاً .

وقد امتدت بركة جدي إلى أولاده فتعلم عمي القراءة والكتابة واشتغل بالعمل الحر ، وصار عمدة للقرية ، ورزقه الله البنين والبنات ، الذين صار لهم شأن بين الناس ، ومقام طيب عند الله تعالى نرجوه لهم .

أما والدي ... فقد مات جدي وهو صغير فعمل بالزراعة ، ورزقه الله ﷻ من فضله المال والولد .

اهتم أبى وعمى بتعليم أبنائهما على غير عادة أغلب الناس في ذلك الوقت لندرة مؤسسات التعليم في النصف الأول من القرن العشرين ...

وقد نشأ هذا الاهتمام لتولي عمي منصب عمدة القرية وهو صغير ، وكان أحد القلائل الذين يجيدون القراءة والكتابة ، ولديه خبرة في التعامل مع المسئولين ، ولذلك سبق في تعليم أبنائه ، وقلده أبي ، وسار على منهجه في هذا الجانب .

اختار أبي زوجته " **حميدة** " من " **آل كلبوش** " أكبر عائلات القرية وعاش معها إلى أن لقى ربه ، وقد تميزت والدتى بهدوء الطبع ، وحسن السيرة ، وحب الأبناء ، وعملت في خدمة زوجها

وأبنائها إلى أن توفاها الله ﷻ ، إنها أمى السيدة " حميدة محمد كلبوش " وكانت تصغر أبي بعشر سنوات ، وقد رزقه الله ﷻ منها عدداً من الأولاد ، مات منهم ثلاثة (بنتان وولد) وعاش منهم تسعة أبناء خمسة ذكور هم على التوالى عبد العال ، وأحمد ، ومحمد ، ومحمود ، وإبراهيم ، وأربع بنات هن على التوالى فوزية ، والسيدة ، وممتاز ، ومديحة ، وسماني أبي " **أحمد** " تيمنا باسمه ، واسم أبيه ، واسم جده ، وبذلك صرت أحمل خمساً من " **أحمد** " قبل اللقب " **غلوش** " .

وقد شجع أبي على مواصلة تعليمي رغبته أن يكون كأخيه ، وإتيان ناظر المدرسة التي درست فيها ، وشيخ الكتَّاب الذي حفظت القرآن فيه إليه فى بيتنا ينصحانه بضرورة تعليمي لما رأياه عندي من تفوق وتميز .

وكانت متابعة والدى لدراستى فى الكتاب مستمرة ، وكان يعاقبنى عقوبات شديدة إذا شعر بتقصير منى ، وكان الشيخ يهتم بى ، ويحاول الاستماع لملاحظات والدى .

ولأذكر أن والدى كان يعاقبنى بشدة حين أقع فى خطإما ، وكنت أعد نفسى لإرضائه ، وعدم الوقوع فى خطإ لا يرضيه .

والحمد لله كنت أول من استقام في الكتاب من إخوتى ، وواظبت فيه حتى أتممت حفظ القرآن الكريم ، وبدأت في الدراسة الأزهرية .

وشاركنى في الاستقامة شقيقي الأصغر " **إبراهيم** " فاستمر في الدراسة حتى حصل على بكالوريوس كلية العلوم من جامعة عين شمس ، وعاش إخوتى الذكور مع أبى يزرعون الأرض ، ويعملون في جميع الأنشطة الريفية على اختلافها ، بعدما رفضوا الاستقامة في الكتَّاب ، وتهربوا منه .

وتزوج البنين والبنات ، وأخذ كل يشق طريقه في الحياة ...

وهكذا كانت أسرتي المصغيرة ، كانت أسرة بسيطة ، تعيش حياتها بسهولة بعيدة عن الثراء ، وللرفاهية ، وتعتمد على جهد الجميع صغاراً وكباراً ، ليكتسبوا قوتهم وحاجاتهم من زراعة الأرض التي يملكها أبي ، ومن عمله بوزارة الزراعة حيث عمل مشرفاً على المصارف والطرق موظفاً بوزارة الزراعة .

وبالنسبة لى ..

بدأت رحلتي التعليمية عادية جداً ، فعند بلوغي سن الخامسة تقريباً بدأت أذهب كل صباح إلى الكتَّاب ، واستمر فيه حتى صلاة العصر وفق نظام الكتَّاب في تعليم الأطفال الصغار ، فلما تعلمت القراءة والكتابة أخذت أحفظ القرآن الكريم بمنهجية الكتاب ... حيث أكتب قدراً من الآيات في لوح ، ثم أحفظه واسمعه آخر النهار لشيخى ، ولننتقل في كل يوم لقدر جديد ... وهكذا حتى أتممت نصف القرآن الكريم ، وبعدها بدأت أقرأ القدر من المصحف

مباشرة ، واحفظه وأراجعه ، وظللت هكذا حتى حفظت القرآن الكريم كله ، وعمري عشر سنوات .

لم تمر مرحلة الكتاب على وتيرة واحدة حيث كنت انقطع أحيانا عن الكتاب لأساعد إخوتى في أعمال الزراعة ، ورعى الماشية ، وبخاصة في مواسم الحصاد التي تحتاج لأعمال كثيرة .

وأيضا فلقد أنشأت وزارة المعارف المصرية مدرسة مكونة من سنة دراسية واحدة للتعليم فانتسبت إليها ، وكنت أحضر فيها نصف النهار ، وأقضى النصف الباقى فى الكتاب ، وقد رأى ناظر المدرسة تفوقي فكان يكلفني بتعليم غيرى ، وتوجيه التلاميذ نحو الصواب ، وتصحيح الأخطاء ... وكان ذلك سبباً جعل أبى يحرص على إتمام تعليمى ... فلقد لاحظ ناظر المدرسة تفوقى العقلى فحضر إلى بيتنا ذات مساء ليزور أبى ، ويوصيه بضرورة الحرص على إتمام تعليمى لما رآه في من نبوغ وتفوق ...

وفى نفس الوقت لاحظ شيخ الكتاب أن حضورى نصف الوقت فقط لا تأثير له على حفظى فعرف أبى ذلك ، وبين له أهمية تعليمى وجدواه .

أدت هذه الوصايا بأبى أن يهتم بمتابعة دراستى ، فأخذ يحضر إلى الكتاب وإلى المدرسة كثيراً للسؤال عنى ، وكلما سمع خيرا ازداد اهتماما ... إلا أن الأمور لم تسر على نمط واحد فلقد جاء أناس لأبى وحذروه من نفقات التعليم ، وتبعات الدراسة ،

الأمر الذي سيؤدى به إلى بيع الأرض التي يملكها ، والتى يزرع فيها إخوتى ، وحاول هؤلاء إغراء أبى بتعليمى مهنة ، أو إشراكى في تجارة بدعوى أن تسعة أعشار الرزق في التجارة ، ولأن صنعة في اليد أمان من الفقر ، وأخذ أبى يسأل ، ويحاول معرفة حقيقة ما يسمع ، ويستفسر ممن يتصوره ناصحاً أميناً حتى استقر على اتجاهه الأول .

عاش أبى هذا الجو ، وازداد إصراره على تعليمى ، وأحضر لى مدرسا لأتعلم مبادئ الحساب ، والعلوم ، والتعبير تمهيداً لتقديم أوراقى للأزهر لألتحق بالمرحلة الابتدائية التي تحتاج إلى اجتياز امتحان في الحساب ، واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم .

وحرص أبى خلال هذه الفترة على سرية عمله .. فجهز الأوراق المطلوبة من غير أن يدرى بعمله أحد ، وقدم أوراقى وهو حريص على قبولها ...

واجتزت امتحان القبول ، وبدأت الدراسة في الأزهر الشريف .

وبدأت أعيش حياة جديدة تتميز بالدقة ، والنظام ، والإخلاص في العطاء والجدية في الالتزام والطاعة ، وتلك كانت سمات الأزهر في عصره القديم .

كان الأستاذ يقوم بواجبه في شرح الدرس بكامله ، ويعقد امتحانا تطبيقيا كل أسبوع . وكان الشرح سهلا مبسطا نخرج منه وقد فهمنا الدرس بكامله ، وكان الأستاذ يخصص يوما أسبوعيا

لتسميع النصوص المقررة ، وهي عبارة عن متون العلوم ، كألفية ابن مالك ، ومتن السلم في المنطق ، ومتن سلم الوصول إلى علم الأصول ...

وكان الطلاب يحضرون جميعا من أول الدرس إلى منتهاه لا يغيب منهم أحد إلا لضرورة ، وإذا غاب منا ولحد يهتم الجميع بالسؤال عنه ، والاستفسار عن سبب غيابه ، وكان هذا الغياب نادر الحدوث ، وكان الطلاب يشعرون بقرب الأستاذ من الله فيطلبون منه الدعاء ، ويخلصون له في الطاعة والاستقامة ، وكان إذا غضب الأستاذ من أمر لا يتركه الطلبة إلا بعد أن يعلن لهم أنه رضى عنهم ، وكان التعامل بين الأساتذة والطلبة صورة أبوية حانية ، وبنوة سامية يسودها الصفاء ، والإخلاص ، وكان الجميع يشعر أن الدراسة الأزهرية عبادة لله ﷻ لأنها تعرف بالإسلام ، وتدور حول مصادره ومفاهيمه .

كنا نضبط الوقت على بداية الدرس ونهايته لا يتخلف الطلبة لحظة ، ولا يضيع الأستاذ وقتاً ما لا في أول الوقت ، ولا في آخره وكان الحرص سمة طلاب هذا الزمان لدرجة أن طلاب بعض الفصول كانوا يجلسون للمذاكرة في فصولهم أوقات الراحة والفسح .

وكان الأستاذ يشرك الطلبة فى شرح الدرس ، ويكلف بعضنا بسؤال الآخرين ، ليعتمد المنهج على التفكير والتلقى .

وفى المرحلة الابتدائية استوعبت كل ما سمعت من مشايخي وأتقنت ما ذاكرت وقرأت ، وكان الطلاب يستفيدون بأوقات الفراغ ويمتحن بعضهم بعضا مع حرصهم على هذا. ليظهر كل تفوقه وإجادته في هذه المرحلة المبكرة ". وكنت حريصا على مطالعة صحيفة يومية وكانت هي صحيفة ". المصرى ". أو. ". الأساس. " وبعد قيام الثورة كانت جريدة الجمهورية .

وقرأت. مذكرات. الزعماء. المصريين وغيرهم ". مثل مذكرات أحمد عرابى ، ومحمد فريد ، ومحمود سامى البارودى ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول وغيرهم ، وقرأت كتب المنفلوطى ، والرافعى ، وطه حسين ، وأحمد الزيات وغيرهم .

وقد نشأت عادة قراءة الكتب الخارجية عندي منذ الطفولة ، إذ كنت أذهب إلى سوق القرية كل أسبوع مع والدتي لأشتري قصصاً قصيرة مثل قصص " أدهم الشرقاوي " و " عنترة بن شداد " و " رابعة العدوية " ، وغير ذلك من الكتب الصغيرة الحجم ، الرخيصة الثمن ". السهلة في التعبير والفهم ". المثيرة للخيال. والتصور. ، وأذكر أن والدى كان يشجعني بشراء قصص من هذا. النوع كل أسبوع. ". وكنت أحرص. على متابعة أخبار. ". حرب. فلسطين ١٩٤٨م " وقرأت كثيراً عما كتب عنها .

وهكذا ... نشأت عادة القراءة عندى قبل انتسابى للدراسة ، فلما بدأت الدراسة الأزهرية تطورت هذه العادة ، وتحولت إلى قراءة

كتب كبيرة ، وموضوعات جادة ، ورغبة في متابعة أخبار الأمة والناس ، وهذا يحتاج بالضرورة إلى مال ونقود .

ولكن ...

من أين لمثلى ثمن شراء المصحف ، والمذكرات ، والكتب الخارجية ؟

وكانت تلك مشكلة أمامى فمصروفى محدود ، ومن حولى يرى أن قراءة الكتب والصحف مضيعة للوقت ، وإهمال للمذاكرة ومع هذا أخذت أدخر من مصروفى البسيط ، وأوفر من تكاليف الطعام ما يمكننى من شراء ما أريد من غير طلب ، وكنت انتهز فرصة وجودى وحدى ، وأخصصه للقراءة الخارجية .

وحدث مرة وأنا أقرأ مذكرات أحمد عرابى ، وعند تصويره للحظة وداعه مصر الوداع الأخير ، ورحيله من السويس إلى منفاه في سيلان ، تملكتنى العبرة فأخذت أبكى ، فتصور من رآنى أن هناك سوءاً ألم بى ، فأخذ يسأل ويستفسر ، وأنا أحاول النفى والسكوت ، من غير بيان للواقع حتى لا يكتشف أحد أني كنت أقرأ في غير الكتاب المدرسى ...

وبهذا الأسلوب حققت رغباتى ، وأديت واجبى ، وشغلت فراغى ، ولم أقصر في جانب ما .

وأذكر أن الحركة الطلابية كانت نشطة فى خمسينيات القرن العشرين ، وكثيراً ما اشتركت فى مظاهرات طلابية قبل قيام ثورة

يولية ، وهى المظاهرات التى قامت تندد بفساد العائلة المالكة ، وبخاصة بعد هجرة أم الملك فاروق ، وأخته إلى أمريكا وتندد بهزيمة الجيش فى حرب ١٩٤٨م وتنادى بالجهاد ، وبضرورة مقاومة الجيش الإنجليزى الذى يحتل منطقة القناة ، وتدعو إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦م ...

وهكذا ...

وبعد قيام الثورة انضممت أنا وزميلى الأستاذ/**إبراهيم عابدين** إلى منظمة الشباب ، وتلقينا تدريباً عسكرياً استعداداً لمقاومة المحتل .

عاش الطلاب خلال هذا الزمان محبين لوطنهم ، صادقين فى المناداة بتقدمه ، ونهضته ، مرحبين بمبادئ الثورة القائمة على تحقيق الحرية ، والديموقراطية ، والمساواة ، والعدل .

واستمر هذا الموهج الشبابى حتى وقعت نكسة ١٩٦٧م ، وتحول ما كنا نتصوره حقيقة إلى سراب كاذب .

لقد كنا ننتظر تحرير فلسطين فإذا بنا وقد احتلت ديارنا ، وهلك جيشنا ، وبأن ما كان مخبوءا من فساد ، وظلم ، وطغيان ...

وهنا كانت النظرة الهادئة للأمور ، وتحليل ما يثار من أحداث مع التركيز على التقدم العلمى ، والنجاح الشخصى وأخذت فى الانكفاء على الذات ، وعملت بجد فى إطار تحقيق تقدم علمى للحصول على شهادة الدكتوراه .

(٢٨)

ووفقنى الله تعالى كذلك في دراستى فكنت من أوائل الطلاب في سائر المسنوات المدراسية ، حتى صار نجاحى مسلما به عند أهل القرية الذين يتابعون كل عام أخبار النتائج ، ويعلقون على نجاح فلان ، ورسوب فلان ..... وكانوا يعدوننى قبل أن تظهر النتائج من الناجحين .

سأل بعض رجال القرية العالم الكبير والوحيد بها وقال له : من للقرية بعدك إذا تركتنا .

قال لهم : سيكون من بعدى أحمد غلوش !!! قال ذلك لما رآه فى من حرص ، وعزيمة ، وعمل .

لم يبهرنى المنجاح ، ولم أحتفل به كسائر الزملاء ، وكنت أقول لأبى : **هل يحتفل الفلاح بحصاد الزرع الذي عمل له ؟**

وعندما يجيبنى بالنفى أقول له : **وأنا كالفلاح الذي يجنى ثمرة زرعه فلا داعى لاحتفال يهتم به الآخرون .**

وكنت أقضى إجازة الصيف في تجويد القرآن الكريم ، وقراءة بعض الكتب الخارجية التي أستعيرها من مكتبة المسجد ومن بعض الزملاء ، وفي قراءة كتب السنة القادمة بعدما آخذها من الزملاء الذين يسبقوننى في المراحل الدراسية ، وكنت أساهم مع إخوتى في الزراعة التي أجدت أداءها بسبب الممارسات الطويلة والجادة ، وأذكر أنى كنت اتحدى غيرى في مهارة الفلاحة ، وجودة العمل والزراعة .

لم أعش رفاهية ، ولا تصورتها ، حيث لا سبيل إليها ، ولا وقت لها ، ولا وجود لمتطلباتها ، ولا قدرة على نفقاتها .

وانتقلت من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية ، وكانت الدراسة في الأزهر يومذاك تتكون من مرحلتين :

المرحلة الأولى : وهى المرحلة الابتدائية وتعطى من يجتازها ". المشهادة الابتدائية ". وتؤهل للالتحاق بالمرحلة الثانية ومدة الدراسة فيها أربع سنوات وقد قضيتها في معهد كفر الشيخ الدينى .

المرحلة الثانية : وهى المرحلة الثانوية وتعطى لمن يجتازها " الشهادة الثانوية الأزهرية " وتؤهل حاملها ليلتحق بالكيات الجامعية الأزهرية ومدة الدراسة بها خمس سنوات ، وقد قضيتها في معهد طنطا الثانوى .

ومما يذكر أن عدد المعاهد الأزهرية كان قليلا ، ولا يوجد في كل محافظة إلا معهد واحد ، وكان معهد محافظة كفر الشيخ الثانوى فى مدينة " دسوق " . وهذا ما جعلنى ألتحق بمعهد طنطا الثانوى لقرب طنطا ، وسهولة السفر إليها ، ولذلك كانت الرحلة في طلب العلم ضرورة لازمة مع مشاقها ، ومتاعبها .

(٣٠)

في طنطا عشت سنوات خمس تلقيت فيها العلم الأزهرى على يد نخبة من العلماء الأفاضل ، أدين لهم بالفضل ما حييت ، فقد راقبوا الله ﷻ في عملهم ، وأخلصوا في تعليم طلبتهم ، وأتقنوا التربية والتعليم ، ولم يضيعوا لحظة واحدة بلا شرح وتفصيل ، وكانوا يتعاملون معنا كآباء ، ويوجهوننا كأبناء ، وكان الكثير منا يقبل أياديهم حبا وتعلقا ، وأبوة في العلم والدين .

ومضت سنوات الدراسة الثانوية كاملة تامة ، وكانت هي مرحلة الصقل الحقيقى لشخصياتنا ، وعقولنا ، وتوجهاتنا .

وكان المسجد الأحمدى هو المكان المفضل للمذاكرة ، نذهب إليه عند صلاة العصر ، ونمكث فيه حتى صلاة العشاء نذاكر ، ونراجع الدروس ، ونقيم الصلوات .

وكانت مكتبة المسجد العامرة بالمراجع فرصة للإطلاع والقراءة ... كما كانت مكتبة البلدية بميدان الساعة هي شقيقة المكتبة الأحمدية في وجود المراجع ، تفتح أبوابها لطلاب المعرفة ، وراغبى القراءة وكنت أخصص لها يوم الجمعة كل أسبوع .

علمنا الأساتذة في المرحلة الثانوية أهمية الرجوع إلى المراجع والمصادر ، وكنا نذاكر في المادة الواحدة أكثر من كتاب .

وكان الأساتذة يسمحون بوقت كاف للسؤال والحوار ، ومناقشة المشاكل والأحداث وتقديم المقترحات والتصورات .

فكَّرت وأنا في المرحلة الثانوية أن ألتحق مع زميلي الأستاذ

إبراهيم عابدين في دراسة الملاسلكي لنقوم بعمل مهنى فى غير أوقات الدراسة ، لكن الطريق شاق ، والآباء لم يؤيدوا هذه الرغبة .

وقاربت المرحلة الثانوية نهايتها ،. وبدأ التفكير في تحديد التخصص العلمى ، واختيار الكلية المناسبة .

وكانت رغبتى أن أواصل الدراسة في مجال اللغة العربية ولها طريقان :

- إما الالتحاق بكلية اللغة العربية التابعة للأزهر الشريف .
- أو الالتحاق بكلية دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة .

وكان لكلية دار العلوم بريق لدى طلاب الأزهر في هذا الوقت ، لأنها تمثل أمامهم تجديدا في الدراسة ، وتيسيرا فى العمل وإقتداء بنماذج علمية تخرجت من هذه الكلية .

وكانت كلية دار العلوم تختار عدداً محددا من المتقدمين لها على أساس المجموع في ثانوية الأزهر ،. وبعد اختبار علمى ، ومقابلة شخصية .

وتقدمت بأوراقى إلى كلية دار العلوم ، وأنا سعيد بمجموعى في الثانوية الأزهرية الذي بلغ ثلاثاً وثمانين فى المائة لأنه يؤهلنى للالتحاق بالكلية .

واجتزت الاختبار الشفهى والمقابلة الشخصية ، وأعلنت الكلية

أسماء المقبولين وكنت واحداً منهم فبدأت أتهيأ للدراسة ، وأجرت سكنا بجوار الكلية وأنا بذلك راض سعيد .

وكان للقدر غير ما اخترت ، ولم أتمكن من الانتظام فى الكلية ، أو متابعة الدراسة بها .

لقد كان من المقرر قانونا أن طلبة المرحلة الثانوية الأزهرية يؤجلون تجنيدهم بالجيش إلى سن أربعة وعشرين عاماً في أول أكتوبر من العام ، على غير ما هو مسموح به لطلاب الثانوية العامة فى المدارس الحكومية ، إذ كان تأجيلهم إلى سن اثنين وعشرين عاماً ، وكان ميعاد احتساب السن هو أول أكتوبر من كل عام ... وقد حصلت على الثانوية الأزهرية وسنى في أول أكتوبر يقل عن اثنين وعشرين عاماً عشرة أيام ، وبذلك يحق لى أن أدخل الجامعة ، وأوجل إلى سن ثمان وعشرين سنة ...

وفجأة صدر قانون يوحد طلبة الأزهر ، وطلبة المدارس الحكومية في التأجيل ، ويجعله اثنين وعشرين عاما في **أول يناير لا في أول أكتوبر** ، وبذلك زاد سنى عن الحد المقرر ، ووجب حصولى على شهادة الخدمة العسكرية ، وملكنى العجب لأنهم لو أبقوا على عد الوقت عند أول أكتوبر لكان عمر حينذاك أقل من اثنين وعشرين عاما بعشرة أيام ، لكنها إرادة الله .

أصبت بصدمة عجيبة . وأخذت أنا ، ومن أضيروا بهذا القرار نتساءل :

- لم ساوى القانون بين الثانويتين مع اختلاف عمر المتقدم للدراسة فى كل منهما ؟ وطول مدة الدراسة الأزهرية ؟
- ولم تغير موعد العد فصار إلى أول يناير بعدما كان في السابق إلى أول أكتوبر ؟
- ولم وقع المشرع في هذا الخطأ مع وضوح خطإه ، وبطلان ما ذهب إليه .

ونظراً لعدم وجود نظام للانتساب في كلية دار العلوم وجدت نفسى مجنداً بالجيش ، وعلى أن اختار أحد أمرين :

أحدهما تأجيل الدراسة حتى أخرج من الجيش ، وأنتهى من أداء الخدمة الإلزامية بعد عامين ، واستأنف بعدها الدراسة في كلية دار العلوم .

وإما أن أسحب أوراقى ، وألتحق بكلية أصول الدين ، أو كلية الشريعة ، وأواصل التجنيد مع استمرار الدراسة .

ولم يكن وارداً أن ألتحق بكلية اللغة العربية ، لأن عميدها يومذاك فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد محيي الدين عبد الحميد أمر بعدم قبول من تقدم إلى كلية دار العلوم .

لم أرتض الانتظار عامين ، ولذلك سحبت أوراقى ، وقدمتها مضطراً إلى كلية أصول الدين .

كان يوما حزينا بالنسبة لي ، تملكنى البكاء فيه ، وتحركت خلاله على غير رغبتى ، وصرت طالبا في دراسة منهج لم أفكر فيه يوما ، وضاعت أحلامى أدراج الرياح كما تصورت يومها .

وبرغم قصر المنظرة ، وخطأ التصور ، فلقد عشت خيالات عديدة ، ولعل ما ساعد في تضخيم هذا الخيال أن خريجى كلية أصول الدين لم يكن أمامهم عمل يقومون به ، وكنا نرى الخريجين منهم في قرانا يعملون بالزراعة ، والرعى ، والمهن المختلفة .

ووجدت نفسى مجندا بالجيش ، وطالبا بكلية أصول الدين ولابد لكل منهما من عمل وجهد .

حاولت وأنا في الجيش أن أنتسب **لكلية ضباط الاحتياط** كغيري ، ولكن المسئولين لم يوافقوا لأن خريجي الأزهر وطلابه لا يدرسون اللغة الإنجليزية التي لا بدّ منها في كلية ضباط الاحتياط.

زاد حزني ، وشعرت يومها أن الفشل قادم لا محالة ، وأخذت أشكو وأعتب ، وأسأل الله ﷻ العفو والرضى .

ذهبت لكلية أصول الدين ، وقدمت أوراقي لها ، وعلمت أنها تقوم بتقسيم الطلبة الجدد إلى قسمين ، ليدرس قسم منهم اللغة الإنجليزية ، والقسم الآخر يدرس اللغة الفرنسية ، وقد امتلأ قسم اللغة الإنجليزية ، ولم يبق فراغ إلا فى قسم اللغة الفرنسية فرضيت بوضعى في اللغة الفرنسية ، حيث لم يسبق لى التفكير والاختيار ،

وكنت في حال أقبل فيه أى شئ ، حيث لا أمل ولا رجاء ، وقد رأت الكلية ذلك لأن أغلب الطلاب اختاروا اللغة الإنجليزية .

وبدأت أعد نفسى للتلاؤم مع الوضع الجديد ...

فالجندى في الجيش له أوضاعه ... والدراسة في الكلية لها أوضاعها ، ووجدت نفسى أمام حال لا أحسد عليه .

فأنا في الجيش مشغول طوال النهار في التدريب حيث نبدأ من السادسة صباحاً ، ونستمر حتى الثانية ظهراً في عمل متتابع يشمل النظافة ، والفطور ، والطوابير ، التي تتخللها استراحات بين كل طابورين .

وفى المساء تكون الخدمة والحراسة ، وكان الوقت شتاءً ، والبرد شديداً ، والظلام يعم خيام السكن ، ولا إنارة إلا في شوارع المعسكر وطرقه .

وفى الوقت نفسه تحتاج الكلية إلى متابعة المدراسة ، واستمرارية المذاكرة وتعلم اللغة الأجنبية الجديدة .

وتملكنى اليأس فترة تخيلت أثناءها صعوبة الجمع بين كل هذه المسئوليات ، وقررت إرجاء الكلية إلى ما بعد الانتهاء من الجيش ، وإراحة النفس من التفكير فيما لا يفيد ، وبخاصة أن شعلة الأمل قد خبت .

ولم يكن هذا القرار مريحاً لى ، فقد عشت بعده عدة أيام حزيناً ، أتصور حالتى مع ضياع الأمل ، وفقدان الأحلام ، وذلك

إحساس ضيع المنوم من عينى ، ووضعنى في حيرة من أمرى وأخذت أتساءل :

- هل استمر في التعليم أم أتوقف ؟
- وهل أتعلم مهنة أخرى أم لا ؟
- وهل يمكننى أن أطبق قرارا أتخذه الآن ؟
- وهل أرجئ التفكير الآن . أم أن التفكير أمر عقلى لا فكاك منه ؟ لأن التفكير في ترك التفكير تفكير آخر .

وهكذا مضى الوقت معى حائراً مترددا ، عاجزا ، ولم أجد إلا الصبر ، والسكوت ، والتفرغ لجنديتى في الجيش ، ورأيت عدم اتخاذ قرار وسط ظروفي تلك ، حيث القلق ، واليأس ، والقنوط وتذكرت وصية والدي وهو يودعني إلى الجيش ويقول : " **أترك الأمر لله فهو الرحمن الرحيم** " .

وبعد أسبوع من هذا الواقع راجعت نفسى ، ولم أصبر على العيش في فراغ يفصل الماضي عن المستقبل ، وشعرت أن الحلم أحد أسباب العمل ، وأن اليأس سبب للضياع والخمول ، **ووصلت لقرار** هو : أن أذهب لكلية أصول الدين ، وأقابل الطلاب ، وأتفهم واقع الدراسة حيث لا فائدة من الإحساس بالضياع ، وتكوينى لا يسمح بهذا الواقع اليائس ، وإحساسي أن الظلام لا يدوم ، ودائماً توجد شمعة تنير في ظلمة الليل الحالك ، ولذا كان قراري ضرورة الحركة مع الممكن المتاح ، وإذا لم يتحقق كل الأمل فإنه يكفيني

جزء منه ، ومن المعقول أن يتبدل الأمل ويتغير إلى الخير بصورة لا يعلمها إلا الله ﷻ .

ونفذت هذا القرار ، وذهبت إلى الكلية ، وقمت بشراء الكتب وعدت بها إلى المعسكر ، ورأيت أن أبذل جهدى على قدر استطاعتى وواقعى ، وبالنسبة للغة الفرنسية قررت تأجيل الدراسة بها حتى يتيسر لها الحال .

ولكن ... متى ؟ وأين ؟ وكيف تكون المذاكرة ؟

وتوصلت بعد تفكير إلى أن وقت المذاكرة هو أوقات الراحة بين الطوابير ، وفى الليل بعد العشاء ، وبعد الفراغ من الخدمة الليلية ، على أن يكون المكان حيث يتيسر تبعا للمهمة التي أكلف بها ، وكيفية المذاكرة هو اصطحاب أوراق معى لأذاكر فيها حين تسهل المذاكرة وأستطيعها .

وقمت بتحويل الكتب إلى ملازم لأبدأ في تطبيق خطة المذاكرة والقراءة .

ولكم عانيت في تطبيق هذه الخطة .

وسط مشقة التدريب حولت الراحة إلى عمل !!

والخدمة الليلية تكون غالبا في مكان معتم ، ولذلك كانت ضرورة الاقتراب من أعمدة النور والضوء !!

وخيام النوم مظلمة ولذلك كانت ضرورة البحث عن مكان مضئ تحت وطأة البرد ، وقسوة الشتاء !!

وللعقل أن **يتساءل** :

- لم هذا العناء ؟
- وما هو الأمل ؟

ووجدت نفسى في تعب جديد قررت الاستمرار فيه لما له من ثراء علمى ، واستفادة دينية ... ولأن طبيعتي تكره الفشل ، ولا تعترف به ، ودائماً أعرف أن النتائج والمستقبل بيد الله ﷻ .

قلت لنفسى : إنى في طريق التعليم لن أخسر شيئا ، حتى ولو لم أحصل به على أمل ، وليكن العلم لمجرد العلم هو غايتى وأملى

ومن عجائب القدر أنه عند اقتراب امتحان الفصل الثانى يصدر قرار من الجيش بخصوص التجنيد يصحح أخطاء القرار السابق ويعود للقرار القديم ، ويعطينى وغيرى الحرية في الخروج من الجيش وتأجيل التجنيد لألتحق بكلية دار العلوم ، أو البقاء حتى تنتهى مدة التجنيد وقد مضى نصفها .

عشت مع القرار الجديد ، ومع التطورات والمستجدات فضَّلت البقاء حتى أنتهى من مدة التجنيد ، والاستمرار في كلية أصول الدين ، وبخاصة أننى أديت اختبار الفصل الأول ، وتركت المستقبل لله ، وبدأت اشعر بالرضى مع مقررات أصول الدين ، وأخذت اندمج في علومها ودروسها ، ورأيت ما فيها من ثراء علمي وديني ، ويكفي أنني معها أعيش مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ

، أستنبط منهما أركان العقيدة ، وأحكام السلوك ، ومكارم الأخلاق ، وقلت لنفسى :

ليكن الاختيار لله .

فلقد أجبرت على ترك كلية دار العلوم .

واضطررت إلى الالتحاق بكلية أصول الدين .

وتم تجنيدى بقرار خاطئ على غير رغبة منى .

وتأملت هذا الطريق الذي أنا فيه بلا أدنى اختيار مني لأنه كله قدر واختيار من الله تعالى .

وأخذت أعيش مع ما سمعته من أساتذة كلية أصول الدين ، ومن زملائي الطلبة ، وبدأت أترك ما في نفسى ثقة في اختيار الله ﷻ .

وأخذت أوجه الثقة كلها في الله فهو العليم الخبير .

وعلمت يقينا بأنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراده ﷻ .

ولن تموت نفسى حتى تستوفى عملها ، ورزقها ، وأجلها .

وأن الأمور كلها مقدورة .

وواصلت المسير . وظهرت نتيجة الفصل الدراسى الأول ونجحت في جميع موادها بتقدير " جيد جداً " وبدأت أحلم من جديد ، وحصرت الأمل في الامتداد العلمى لكلية أصول الدين وأخذت أبحث عن مسارات الأمل الجديد في إطار كلية أصول الدين التي أصبحت طالبا فيها ، وصارت واقعا مجسدا أمامى ، **وتحدد أمامى عدد من المسارات :**

أولها : إتقان فن الدعوة إلى الله تعالى ، لأتمكن من النجاح في الجانب التطبيقى للدراسات التي ندرسها في كلية أصول الدين وكنت عن هذا المجال بعيد ...

ثانيها : العمل لإجادة الوسيلة التي تمكن من العمل الدعوى في الخارج ، ورأيت أن ذلك يحتاج إلى معرفة لغة أجنبية أو أكثر ، ليتمكن الدعاة من مخاطبة الآخرين بلغتهم . وأملت في أن أكون واحداً منهم .

ثالثها : زيادة الصقل العلمى ، وتوسيع دائرة القراءة تمهيداً لمواصلة الدراسات العليا ، والحصول على أعلى الدرجات العلمية لأكون واحداً من المشاهير الذين مضوا ، وبخاصة أن نظام الدراسات العليا يومذاك كان اختيار عدد من أوائل الطلبة وتعيينهم مدرسين بنصف مرتب بمعهد القاهرة الدينى ، وتيسير التحاقهم بالدراسات العليا للحصول على العالمية " **الدكتوراه** " .

وتفحصت في هذه المسارات لاختار واحداً منها ، فرأيت أهمية كل منها ، وحاجتى الملحة لجميعها ، فقررت أن أجهد النفس معها ، وأحاول الإلمام بمتطلباتها جميعا .

فبالنسبة لمسار فن الدعوة أخذت أعد خطبا اختار موضوعها وأسجلها في كشكول خاص ، على أن يتم هذا الإعداد وفق عناصر مستنبطة من الموضوع ، وكنت أسجل موضوع كل خطبة

أسمعها ، وأسجل ملاحظاتى عليها ، واكتبها وفق رؤيتى لصورتها المثالية من وجهة نظرى .

ساعدتنى هذه الفكرة على قراءة المصادر ، والكتب الإسلامية ودفعتنى إلى ضرورة التركيز في التقسيم ، واختيار العناصر ، وأهمية اختيار النصوص الدينية ، ووضعها في المكان الذي يحتاج إليها .

وكنت أتخير بعض الزملاء لنضع سويا عناصر موضوع نختاره ، ونتحاور في ترتيب العناصر المستنبطة منه .

وعشت هذه التجربة حتى أثمرت خطبا متعددة بعضها كامل وبعضها بعناصره فقط ، إلا أنها لم تخرج إلى حيز التطبيق العملي ، وبقيت في إطار نظري مجرد ، **وكان الأولى بها أن تنتقل إلى مواجهة مباشرة مع الناس .**

وبالنسبة لإتقان لغة أجنبية فلقد ساعدتنى الظروف التي وضعت فيها على العمل في هذا المسار ، لأن كلية أصول الدين وضعتنى في الفصل الذي سيدرس اللغة الفرنسية ، ولم أكن أدرى عن اللغات شيئا ، وقبلت اللغة التي وضعني فيها المسئولون في كلية أصول الدين ، حيث لا تمايز بين واحدة وأخرى في نظرى .

ونظراً لتأخري في الانتساب لكلية أصول الدين رأيت تأجيل الاختبار في اللغة الأجنبية إلى الفصل الدراسى الثانى ، وبدأت

أبحث عن معلم يعلمنى المقرر في الكلية ، وهو عبارة عن خمس دروس من الكتاب الأول المقرر على المدارس الثانوية .

ومنَّ الله على فزاملت مجنداً معى تخرج من مدرسة ثانوية أجنبية ، لغتها الدراسية هي اللغة الفرنسية .

زاملت هذا المجند وبدأت أتعلم على يديه مبادئ اللغة فلم يمض العام الأول حتى كنت قد انتهيت من دراسة الكتاب الأول كله ، وعدد دروسه عشرون درساً ، وأخذت انتقل من كتاب إلى كتاب حتى انتهيت من الكتب الخمسة المقررة ... .. ولما أديت الامتحان الذي أجلته وجدته سهلاً بسيطاً ولذلك كانت مادة اللغة الفرنسية إحدى المواد المفضلة عندى .

وبالنسبة للمسار العلمى أخذت أقرأ بعض المراجع بصورة تحليلية ، بمعنى أن ألخص محتويات الكتاب ، وأعلق عليه من وجهة نظرى ، وأحدد الفوائد التي استفدتها من هذا الكتاب ، ودونت كل هذا في أوراق تحت مسمى " **قراءاتى عام ...** " .

بهذه الصورة بدأت أحيا الأمل من جديد .. وتغيرت الصورة التي كنت أحلم بها تماماً ، فبعدما تمنيت نفسي متخصصاً في اللغة العربية وعلومها ، وشاعراً مفوهاً ، وأستاذاً في مجال الأدب والبلاغة ، صرت أحلم بسبق في العلوم الدينية وتطبيقاتها العملية ، وأقرر الآن أنى تحملت كثيراً من المشاق ، فلم أجد وقتا للراحة ،

وكانت الأجازات على تنوعها فرصة زمنية أقضيها في القراءة والكتابة ، والإعداد ، والاستعداد .

وقمت بإعداد بعض البحوث خلال فترة الكلية ، منها :

- صلح الحديبية وأثره على الدعوة .
- الشباب المعاصر . ماله وما عليه .
- حسن الخلق في الإسلام .

وبينما الحياة تسير بنا وبالجامع الأزهر ، وبينما نحن على أبواب السنة الرابعة بكلية أصول الدين إذا بالإصلاح يطرق أبواب الأزهر ، ويصدر القانون الذي حوله إلى جامعة حديثة تضم الكليات النظرية والعملية ، وتقسم كلياته إلى أقسام علمية عديدة ، تأخذ بنظام الجامعات الحديثة ، وصار على طلاب كليات الأزهر أن يدرسوا سنة تكميلية زائدة لدراسة المواد التي لم يدرسوها ، كعلوم الاجتماع ، والنفس ، والمنظم ، واللغات ، وغيرها ، على أن يتخصصوا بعدها وفق الأقسام العلمية في كل كلية .

وانقسمت كلية أصول الدين إلى ثلاثة أقسام هي أقسام العقيدة والكتاب والسنة ، والدعوة ... وبعد مشاورات واستخارات دخلت قسم الدعوة كأغلب طلاب الكلية ، وبعد الانتهاء من الدراسة حصلت على الإجازة العالية " **الليسانس** " من قسم الدعوة بتقدير " **جيد جداً** " ، **وكان ترتيبي الأول في أول دفعة متخصصة** ، وانتظرت

أن أعين معيداً في الدعوة ، ولكن المسئولين رأوا أن نعين في وزارة الأوقاف لحاجتها إلينا على أن نواصل الدراسات العليا منتسبين ...

وبالرغم من عدم ترحيبي بهذا إلا أني لم أجد مفراً من التعامل معه .

ورأى المسئولون في وزارة الأوقاف تعيين أوائل الدعوة بمحافظة أسوان ، لتحقيق توازن فيها ، لوجود الروس بأعداد كثيفة وهم يشتركون فى بناء السدّ العالى .

لم أتأثر بكل هذا. ورأيت ضرورة مواصلة العمل ، وأهمية الاستفادة بطاقة الشباب ، وجاذبية الأمل ، وقررت أن أعمل في كل مجال فيه ثقب مضيء ، وأتوقع في نهايته نوراً يسطع .

لم أعجز لعملي في أسوان حيث بعد المسافة ، وتكاليف السفر ، واستعنت بأخي إبراهيم في إحضار ما أحتاجه من محاضرات وكتب ، وأعانني الله ﷻ على تحمل المشاق ، وسهل لي صعوبة الطريق .

وأعترف الآن بالفائدة التي عادت على من وراء أعمالى التي قمت بها جريا وراء ما أتمناه من أمل ... **فلقد وصلت بفضل الله تعالى إلى :**

١ – الانتساب للمعهد الآسيوى الأفريقى قسم اللغة الفرنسية بعد أن اجتزت اختبار القبول فيه ، وهو معهد أسسته جامعة الأزهر ليلتحق به خريجو جامعة الأزهر ،

المحاصلون. على تقدير ". جيد جداً " المعارفون. باللغة الإنجليزية أو الفرنسية .

وللدراسة بهذا. المعهد سنتان. حيث يتخصص الطالب لدراسة علوم إنسانية ، وتاريخية ، وجغرافية ، تتصل بإحدى دول آسيا ، أو أفريقيا ، على أن يقضى الطالب عاما دراسيا بمصر ، والعام الثانى يقضية في الدولة التي اختارها . على أن يبعث بعد حصوله على شهادة المعهد للدعوة في البلد التي كانت دراسته فيها .

وطلاب المعهد متفرغون للدراسة ، ولهم مرتب المعيد في الجامعة .

وشهادة المعهد تعادل درجة التخصص " الماجستير ".

والمعهد فكرة رائدة وعملية لنجاح الدعوة إلى الله تعالى في البلاد الأخرى .

وقد انتظمت الدراسة في المعهد مدة ، وأوقفته الجامعة لعدم وجود ميزانية له مع أهميته للدعوة إلى الله تعالى .

٢ – الانتظام في معهد الإعداد والتوجيه ، وهو معهد أسسته الجامعة لجميع طلبتها لينالوا دبلوماً في العلوم التربوية ، والمكتبية ، والدعوية ، وهي دراسة تمكن الخريجين من إتقان فن تعليم الكبار والصغار ، وإدارة المكتبات والوثائق ، وكانت الدراسة فيه مسائية ومدتها عام واحد.

تقدم خريجو كليات " اللغة ، والشريعة ، وأصول الدين " لها حيث يحتاجها جميعهم ... وللحمد لله فقد نجحت في الامتحان النهائى لهذا المعهد ، وكنت الأول بتقدير " **جيد جداً** " على جميع طلاب الجامعة .

٣ – الالتحاق بالدراسات العليا ، وقد التحقت بها عقب تخرجى مباشرة ووإصلت الارتقاء فيها حتى حصلت على درجة الدكتوراه .

وهنا أمر أحب أن أذكره اعترافاً بفضل الله ﷻ ، وهو أن وزارة الأوقاف أصدرت قراراً بنقل كل من ينجح في السنة الأولى من الدراسات العليا إلى القاهرة ليواصل دراسته ، وكنت الأول والوحيد الذي نجح فنقلت إلى القاهرة وواصلت الدراسة ، وبعد حصولي على الماجستير عينت مدرساً مساعداً بقسم الدعوة بكلية أصول الدين ، وكنت أول من حصل على الدكتوراه في الدعوة وفق النظام الجديد للجامعة .

هكذا كان مسارى العلمى الذي عشت معه وأخلصت له ، وبارك الله لى فيه ، وحقق لى ما لم أكن أتصوره .

وأقول الآن بضمير مستريح : **الحمد لله أن وضعنى حيث أراد لا كما أردت ، وأمكننى بما قدر ، وحدد مسارى بعيدا عن تفكيرى ... فلقد كان اختياره " سبحانه وتعالى " هو الاختيار الحكيم الذي أفادنى وأسعدنى .**

وأحمد الله أن ذلل أمامى العديد من الصعاب التى كادت أن تعصف بكل ما عملت له .

صدر قرار من الجيش بإعطاء الطلبة الذين يدرسون أجازة طوال مدة الامتحان على غير سابق عهد بذلك ، وهذا فضل كبير لأنها مدة تقرب من شهرين في كل فصْل دراسي .

التحقت بوحدة عسكرية بالعريش بعيدة عن القاهرة ، وفجأة تتبادل هذه الوحدة المكان مع وحدة أخرى بالإسكندرية فاقترب من القاهرة موطن دراستي.

تتحرك وحدتى من الإسكندرية إلى سيناء ، وأبقى في مؤخرتها بالإسكندرية .

لقد ساهمت حياتى المليئة بالتغيير وللحركة وللتنوع إلى أن أكون جاداً ... وكلما حاولت عواطفى أن تميل ، أو تنشط فى اتجاه شبابى ، يكون تحذيرى وخوفى من الأضرار التي تترتب على إشباع هذه العواطف ، وأهمها ضياع الأمل ، وتحقيق الفشل .

كان خوفى من الفشل مانعا من أى انحراف ، وكانت أحلامى ترسم لى الطريق .

وهناك جانب لابد من الحديث عنه ، وهو التزامى الدينى ، وصورته وسببه .

وهذه مسألة تحتاج إلى توضيح ، لأن تأثير الأزهر في أبنائه اليوم ليس كما كان بالأمس .

إن المسار التعليمى الذي سلكته في الكتاب ، وفى الأزهر معهداً وجامعة كان محضناً للتربية ، قبل أن يكون مكاناً للتعليم .

ففي الكتاب كان الشيخ يشرح لنا بعض قصص القرآن الكريم ، كقصة أبى لهب وزوجته ، وقصة أصحاب الفيل ، ورحلة الشتاء والصيف . .... مبينا قدرة الله ، ونصره للمؤمنين ، وكان الشيخ يصطحبنا إلى المسجد للصلاة ، ونظراً لعمله خادما للمسجد كان يكلفنا بفتح المسجد للصلاة ، وتنظيفه ، وغلقه بعد الصلاة ، وكنا نقوم بالتسميع في رحاب بيت الله تعالى ... .. فنشأ فينا تعلق بالمسجد . . .. وكان شيخنا . رحمه الله . يوصينا بالمحافظة على الصلاة مع الجماعة في المسجد ، وكنت له من المطيعين .

ولأذكر أني كنت أتسابق مع زملائي في المكتَّاب في عدد ركعات النفل التي نصليها ، وعدد الفرائض التي نؤديها في المسجد في أول وقتها مع الإمام .

ولشيخ الكتاب فضل في هذا ، فلقد كان يشجعنا ، ويمدحنا أمام زملائنا ، ويكافئنا بالانصراف مبكرين .

وكان الشيخ رحمه الله يشرح لنا بعض قصص القرآن الكريم ، ويفهمنا معاني بعض الآيات .

نشأنا على حب الله تعالى ورسوله ﷺ ، وتربينا على ذلك نظرياً وعملياً ...

أذكر أن أحد تلامذة الكتاب قال : " ليتني كنت حصاناً يركبه رسول الله ﷺ " .

فقال الشيخ : " إن الله لم يرتضِ للإنسان أن يكون حيواناً ، وإنما سخر الحيوان والكون كله للإنسان ، وحب الرسول ﷺ يتم بطاعته ، والالتزام بتعاليم الإسلام وأخلاقه ، فمن يحب الرسول ﷺ يكون مسلماً " .

فلما بدأت الدراسة في الأزهر هيأ الله تعالى مجموعة من الأساتذة الممتلئين إخلاصا لدينهم ، وحبا للدعوة ، وتفوقاً في الفهم ، وسعة في الأفق ، وقدرة على التفهيم والتعليم .

لقد كانوا لنا أمثلة عالية ، نتعلم منهم في مكان الدراسة ، ونزورهم حيث مكان الإقامة ، ونأتم بهم في صلاة الجماعة .

لم نكن نندهش ونحن نسمع منهم أخبار أزواجهم وأبنائهم وهم بعيدون عنهم ، ونسأل عن كيفية وصول الأخبار إليهم ، ونعلم أنها الرؤى المنامية أراهم الله إياها .

هم الآن بين يدى الله ، ونحن في الطريق إليهم ... نسأل الله أن يكرمهم بالفردوس الأعلى ، وأن يلحقنا بهم في الصالحين .

كان الطالب منا يخاف من غضب الله عليه إذا غضب أستاذه عليه ، ولذلك كنا نسارع إلى طاعتهم في حسن الخلق ، ودقة الفهم ، ومواصلة الدراسة ، والاستمرارية المذاكرة ... .. ونتقرب بطاعتهم لله تعالى .

كان المفصل يمتلئ عن آخره بطلبته ، وكنا نتعجب لغياب طالب واحد ، ولا نرتاح إلا بعد معرفة سبب غيابه ، وكنا نعاونه حتى لا يكرر الغياب .

ولم يختلف أساتذة المرحلة الثانوية عن المرحلة الابتدائية إلا في سعة العطاء ، وعمق الدراسة ، فلقد تعلمنا منهم أن نبحث عن ما وراء الكلمات ، ومعرفة المدلول مع الدليل ، وضرورة الرجوع إلى المصادر والمراجع .

كنا في المرحلة الثانوية نتعلم **فن الخط** ، فكان الأستاذ يأتى بنص نكتبه ، ويضيف إليه التعريف بقائله ، وموطن وروده ، واستخراج ما فيه من دلالات .

وفى مادة التعبير كان الأستاذ يكلفنا بكتابة موضوعات في المجال العملى ويفتح بها أمامنا المستقبل ، **مثل :**

- ماذا تعمل لو كنت شيخا للمعهد ؟
- مواصفات المدرس الحسن ؟
- عوامل النهوض في قرية مصرية ؟
- سلوك طالب مثالى .
- التعامل مع مشكلات المجتمع .
- صورة المسلم الإيجابي مع الناس .
- المسلم بين العمل والأمل .

وماذا عن النشاط الحر الذي كنا نباشره في غير أوقات الدراسة ؟ وبخاصة في فصل الصيف ؟

وجهنا الأساتذة إلى أهمية حضور المحاضرات والمندوات الثقافية التي تتم في الجمعيات الأهلية مثل " جمعية الشبان المسلمين ودار البلدية ، ومسجد المنشاوى بطنطا " ، ووجهونا كذلك إلى الارتباط بالمكتبات العامة ، وكنا نذهب إليها قارئين ، ومستعيرين كما قام المعهد الديني بتوجيه الطلاب الراغبين لإلقاء دروس في المساجد نظير مكافآت تبرع بها الصالحون ...

وقد حاولت مع زملائي إقامة نادٍ ثقافي في القرية ، نلتقي فيه لنسمع ما ينتجه أحدنا من خطب وقصيد ، وأسسنا مكتبة صغيرة للقراءة ، جمعنا لها كتباً من المشتركين ، حيث أحضر كل مشترك عشر كتب على الأقل من مكتبته وديعة يسترجعها في نهاية الصيف .

وكان الأساتذة يتابعون نشاطنا الصيفي ، ويوجهوننا بنصائحهم ، وإرشاداتهم ، فرحمة الله على هؤلاء الأساتذة الذين ارتبطوا بنا صيفاً وشتاءً، وكانوا يشعرون بمسئوليتهم الدينية تجاهنا ، وشكراً لهم جميعاً ، وجزاهم الله عنا خير الجزاء ، كان الطلاب أرضاً خصبة ، زرعها شيوخهم بالخير ، ونموها بكل ما هو مفيد .

وإنى الآن أذكر الأساتذة الذين تلقيت وزملائي العلم على أيديهم في كافة المراحل ، والذين أفادونا بنصحهم ، وتوجيهاتهم ،

وأدعو الله ﷻ أن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

زرعوا في قلوبنا حب الإسلام ، والعمل له ، وأقاموا في قلب كل طالب أزهرى صرحاً عاليا للدعوة إلى الله تعالى ، قائما على العلم والفهم ، مدعما بالعمل والتطبيق ... ولذا كان التزامنا نابعا من ثقافتنا وتعليمنا ، ومن القدوة التي علمتنا ، وعاشت معنا .

حذَّرَنا الأساتذة من المعاصى ، وربطوا طاعة الله ﷻ بالنجاح ، وعلَّمونا أن المعاصى تشبه المرض المزمن الذي لا نهاية له ويصعب لمن أدمنها الفكاك منها ، وطلبوا منا ضرورة التخلص من هواجس الشيطان ، والبعد عن الأشرار ، وملازمة الصالحين ، ومداومة الطاعة لله رب العالمين .

كان الأساتذة نعم الآباء ... وكان الطلبة نعم الأبناء

كان الأزهر بيتا لأبنائه ، يجعل العلم رحماً ، ويحول التدين طبعا وسلوكا ، ويملأ القلب بحب الله ورسوله ، ويذلل النفس لعبودية الخالق ، المعبود ، العظيم ... ولذلك كان للأزهر دوره ، وكان للعلماء هيبتهم ... ونأمل من أزهر اليوم أن يكون كأزهر الأمس ، لا يستهويه شعار ، ولا يخضع لرغبة مادية ، ولا تستذله سلطة دنيوية ، ويستمر شيخه إماما للمسلمين أجمعين .

نأمل من الأزهر اليوم أن يعيش لله ، ويعمل لله ، ويلتزم برسالته ويتمسك بأهدافه ، ولا يخاف إلا من الله .

نأمل من أزهر اليوم أن يكون الحارس الأمين للقيم الإسلامية لا في مصر وحدها ، بل . كما كان . في العالم كله .

نأمل من الأزهر أن يعي رسالته ودوره ، ويخلص لها ، بعيداً عن التبعية والخنوع ، ولا يهمل واجباته المسئول عنها أمام الله ﷻ

وعلى الأزهريين كل في موقعه أن يكون صورة عملية للدعوة بما يقدمه من علم وخلق ، وأداء للواجب ، واحترام للإنسان ، والتزام مطلق بمنهج الله ﷻ القويم .

لقد كان عمل أهل المدينة بعد رسول الله ﷺ مصدرا للتشريع بسبب التزامهم التام بما علموه من وحى الله تعالى ... فلم لا يكون عمل الأزهريين اليوم كعمل أهل المدينة وقد علموا !!

إن صلاح علماء الأزهر يؤدى إلى صلاح الأمة ، وفسادهم يؤدى إلى غياب الحق ، وفساد السلوك ... ولذلك قال شاعر حصيف :

يا علماء اليوم يا ملح البلد ∴ هل يصلح الأكل إذا الملح فسد

لقد كان التزام الأزهريين الدينى نابعا من ذاتيتهم بكل الصدق والصفاء ، ولذلك كان أثرهم في الآخرين ، وكان تأثر الناس بهم ... وكانوا القادة على مدار التاريخ .

ويا ليت ذلك الحال يعود !!

يعود لنرى مرة أخرى الطالب المجد الذي يطلب العلم لله ، ويشعر بعلوه وتساميه ، وفخره بأزهره وعلومه ..... ويعود فينا

المدرس الرائد ، الأسوة في العلم والعمل ... ونلمس عزة الأزهر ، ومقامه العالى بين الراعي والرعية .

لقد ساعدني بُعْدى عن أسرتى في الاعتماد على النفس في كل ما أحتاج إليه ، ومن هنا يعود سر تفوقى في أعمال المنزل الذي كنت أقوم به صباح مساء .

والحمد لله ما خذلت والدى وإخوتى أبداً ، وهم ينتظرون نتيجة ما غرسوا وبذروا ... فلقد كنت دائما من أوائل الناجحين في كافة سنوات الدراسة ، وفى جميع مراحل التعليم .

وأصل إلى نهاية السنوات الدراسية لأقف عند بداية الدراسة في السنة الرابعة بكلية أصول الدين .

لقد كانت الدراسة بالكلية دراسة عامة شاملة لكل المقررات على أن يكون التخصص بعد التخرج حيث يوجد معهد الوعظ والإرشاد ، ودراسات العالمية في التفسير والحديث ، والعقيدة الإسلامية ، والفلسفة بأقسامها المختلفة .

إلا أن الأمر تغير عندما بدأنا الدراسة في السنة الرابعة ، إذ تم تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة الأزهر ، واستتبع ذلك ضرورة دراسة مواد جديدة مثل علم الاجتماع ، وعلم النفس ، بالإضافة إلى اللغة الفارسية ، واللغة الأجنبية الأخرى التي درسها الطالب وغير ذلك من العلوم الحديثة ... واستحدثت الجامعة لذلك سنة زائدة

أسموها السنة التأهلية ، تقوم الدراسة فيها على فكرة التخصص ، على أن يكون التخصص بعد ذلك من السنة الثالثة .

وكنت أكثر ميلا للتخصص في التفسير وعلوم القرآن الكريم إلا أن أستاذا فاضلا استطاع أن يجذبنى وزملائى إلى التخصص في علوم الدعوة إلى الله تعالى ... وقد كان .

ونشأ أمل جديد وهو التعيين في وظيفة " معيد " وفق النظام الجديد .. فضاعفت جهدى حتى كنت أول المناجحين في السنة الثالثة والسنة الرابعة تخصص الدعوة الإسلامية .

واقترب الأمل من التحقق ، وعشت الحلم مرة أخرى ، وواصلت العمل والدعاء .

وحدث ما لم أكن أتوقعه ، إذ قامت الجامعة بتعيين أوائل الخريجين معيدين في جميع الأقسام ما عدا قسم الدعوة بحجة أن سائر الأقسام تقوم بالتأسيس العلمى ، أما قسم الدعوة فهو للتطبيق العملى ... وناقشناهم طويلا ، وقلنا لهم : إن مقررات قسم الدعوة تحتاج لمن يدرسها بعد التخصص فيها .

وأيضا فإن التأسيس العلمى يحتاج إلى تطبيق عملى من جنسه ونوعه ، وذلك يشمل سائر الأقسام .

وأيضا فإن أى عمل لابد له من فكرة واضحة تحدد المبدأ والمنهج والمنطلق ...

ولم يفد النقاش شيئا ... ولم يتحقق الأمل الذي تصورته قريبا منى .

ولكنى لم أتوقف عن العمل والاجتهاد لأن المسارات كانت متعددة ، والأمال صارت متنوعة ، ومتجددة ، وكثيرة ، ووجدت نفسى كسائر في طريق به عدد من المصابيح ، يستمر الضوء فيه وإن انطفأت بعض مصابيحه ...

وعينت إماما بوزارة الأوقاف ، وتم توزيعى في أحد مساجد محافظة أسوان. ،. أبعد مكان. عن القاهرة. موطن ا.لأمل حيث الدراسات العليا ، ومعاهد تعليم اللغة الفرنسية ، وهى المكان الذي أتحرك فيه للبحث والتحصيل ، والدراسة والتعليم .

وهل أتوقف لهذا البعد الشاق ؟!

حاولت الانتقال مع غيرى إلى القاهرة لمواصله الدراسات العليا .. فوعدنا وزير ا.لأوقاف. بنقل من ينجح إلى المسنة المثانية في المدراسات. المعليا إلى القاهرة. لأنه بذلك أثبت جدوى. المدراسة ، واستحق أن يكون في القاهرة ...

لقد كان السفر إلى أسوان شقاء كله ، لأن القطار يخرج من القاهرة في المعاشرة مساء. ،. ويصل إلى أسوان. في المثانية بعد الظهر من اليوم التالى .

ومع هذا. كنت أحضر إلى المقاهرة. مرتين في المشهر ، وواصلت الليل بالنهار في المذاكرة .

ودخلت امتحان المسنة الأولى في الدراسات العليا ، وكنت الناجح الوحيد من بين سبعة وثلاثين طالبا ، وتم نقلى إلى القاهرة بعد ذلك .

حاولت أن أبتعث إلى دولة أفريقية ناطقة باللغة الفرنسية فلم أتمكن !!

حاولت الانتقال إلى الجامعة عدة مرات فلم أتمكن .

وتوقفت عن الدراسة سنة لأن تكليف عدد من الأساتذة ليدرسوا لطالب واحد ، ووحيد في السنة الثانية لا يجوز ، ولذلك انتظرت حتى لحق بالسنة الثانية عدد من الطلاب ، وانتظمت في الدراسة معهم ، ونجحت في المسنة المثانية بعد تقديم بحث صغير عن "**موقف الإسلام من الشباب** " وحصلت بذلك على درجة الماجستير بترتيب الأول على طلبة السنة الثانية .

وبعد تفكيرى عن الالتحاق معيداً بالجامعة ، ولم أعد أفكر في هذا الأمر ، وكان الله يدبر لى ما لم أكن أتصوره .

ففي آخر يوم من أيام العمل في شهر رمضان ذهبت إلى كلية أصول الدين لمعرفة بعض الأشياء عن الدراسات العليا ، فوجدت إعلانا في الكلية عن حاجتها إلى أربعة معيدين لم تحدد تخصصاتهم فقلت لنفسى : هذا إعلان كسابقيه .

وقررت أن لا أتقدم بأوراقى فيه ، على أن أوفر المبلغ الذي سأتكلفه لأنفقه في العيد ، وقد أزف ...

وانصرفت من الكلية ، وعند انصرافى قابلنى وأنا عند باب الجامعة بالدراسة زميل عاش معى مشكلة التجنيد في كلية دار العلوم ، وهو يومذاك معيد بقسم العقيدة بكلية أصول الدين[١] ... قابلنى وأنا خارج من باب الجامعة .

وسألنى : **هل قدمت أوراقك في إعلان الكلية ؟**

فقلت له : **لا ، وخير لى أن أوفر المبلغ الذي سأتكلفه ...**

فردّ على مقسماً : **لابد أن ترجع وتقدم أوراقك ، والتكلفة علىَّ ، إنها مبلغ زهيد ...**

فأصبت بالحرج وعدت معه ، وتقدمت بطلب عاجل ، ونظرا لأن هذا اليوم هو آخر أيام الإعلان لم أوضح لهم عملى ، ولم أبين لهم حصولى على الماجستير ، لأنى لو ذكرت ذلك سأكون مكلفا بإحضار موافقة جهة العمل على التقديم ، وتقديم ما يثبت حصولى على الماجستير ، وذلك يحتاج لوقت لا أملكه ، ومدة الإعلان لا تتسع له ، كما أن عدم تحمسى شجع على إهمال ذلك .

تقدمت بالطلب إرضاء لزميلى بلا أمل لى فيه .

وهنا كان للقدر رأى آخر ... وكل قضاء له موعده ، وحدثت المفاجأة ، وقررت الكلية تعينى معيدا بقسم الدعوة ، ورجحتنى على غيرى لحصولى على الماجستير الذي لم أخبرهم به . لكنهم يعلمون طلبتهم .

---

(١) هو الأستاذ الدكتور/ محمد محمد نصار . الأستاذ بكلية أصول الدين بالقاهرة .

(٥٩)

وهكذا ...

يتحقق الأمل بعد طول انتظار ، وعلى غير ما يتوقع صاحبه وبدأت أعمل في كلية أصول الدين معيدا بقسم الدعوة .

واستحضرت في لحظات الماضى المطويل الذي مر بى ، وعلمت أن التسليم لله خير من التدبير ، وأن علم الله المحيط كفيل بإعطاء الصادقين ما يريدون ، وفق مشيئته سبحانه وتعالى وقدرته.

ورغم قلة دخلي كنت أنفق كل ما أحصل عليه على مشاريعي العلمية ، ولم أنظر إلى توفير ، أو عمل إضافي ، ولم أفكر في هذا الجانب لسيطرة الأمل العلمي على تفكيرِ ، كنت أوفر من طعامي لأشتري كتاباً ، وكنت أبحث في أسواق الكتب القديمة لأتخير منها المراجع بسعر أستطيع تدبيره ولو مقسطاً .

وشكراً لله أن مكننى من نفسى ، فلم أصب بإحباط تام رغم وجود دواعيه ، ولم أتقاعس حين غاب الأمل .

وأشكره أيضا أن عدَّد أمامى الأمال حتى لا أتوقف حين يتوقف واحد منها

إذ كنت أنتقل بفكري من أمل إلى آخر حين تضيق السبل ، وتصعب الغايات .

كنت أسير في الطريق ، وأدرك طوله ، وكلما قطعت بعضه بلا تحقيق شئ ، أملت في البعض التالى ... وهكذا حتى كان ما كان .

يقول لى أخى الأصغر " **إبراهيم** " : إن الله يعطيك فلا تتعجل ، وأترك الخيرة لله فهو الذي يختار لك ، وتأمل فيما كنت تتمناه ، وما تم تحقيقه لتعرف فضل الله ﷻ ، وعطاءه ، إن الذي يتحقق لك أفضل مما كنت تتمناه مع أنك لم تكن راغباً في الذي تحقق ... وذكرنى بقول من قال :

لا تدبر لنفسك أمراً ∴ فأهل التدبير هلكى

سلم الأمر تجدنا ∴ نحن أولى بك منك

ويقول لى أخى أيضا : **إنى لا أطمئن لما تتمناه ، وانتظر الخير يأتيك من حيث لا تتوقع ، واعلم أن الله سيختار لك .**

فشكراً لربى ، وحمدا له على فضله ومننه ، وأسأله سبحانه الرضى عنى ، والتوفيق والسداد في مسيرتى ، وأن يملأ دنياي بالحسن ، ويعطيني في الأخرى الحسنى وزيادة .

بعد تعيينى بالجامعة رأيت أن أغير الموضوع الذي سجلته للدكتوراه الذي كان موضوعه " **السيوطى وأثره في التفسير** " حيث استبدلت به موضوع " **الدعوة الإسلامية ، ووسائلها من القرآن الكريم** " لأجمع في الموضوع الجديد بين فن الدعوة ، وتفسير القرآن الكريم .

وأخذت الأمور تسير بصورة عادية ...

انقطاع تام للدراسة والبحث ، وصدق كامل في القراءة والتحصيل .

وهنا سؤال لابد من معرفة إجابته وهو : **أين جوانب المرح فى حياتك ؟**

وأقول : إنى كنت أصاحب زملاء من قريتى ، ومن قرى أخرى ، وكنا نتزاور صيفاً ، ونخصص أوقاتاً لنلعب الألعاب المعروفة فى القرية ، وكنا نتنزه فى المساء فى الطرقات بين المزارع الخضراء ، وللماء المتدفق ، وكنا نحضر كتباً للألعاب الرياضية ونطبق بعض ما فيها ، وكنا ننظم رحلات نذهب فيها للمدن القريبة منا ، وكنا نشارك فى المناسبات العديدة التى تقع .

وبهذه الطريقة عشت أوقاتاً للمرح ، واللعب ، والتسلية إلا أنها كانت فى إطار منهجية أخلاقية مقبولة .

وقبيل انتهائي من بحث الدكتوراه تزوجت من زوجتى " **نعمات** " بعدما فشلت في محاولة زواج سابقة .

حصلت على الدكتوراه ، وبدأت مرحلة جديدة في العمل والنشاط حيث التدريس ، والتأليف ، وإلقاء المحاضرات داخل الجامعة وخارجها مدة عامين كاملين .

وفقنى الله ﷻ وابتعثت لتدريس المقررات الإسلامية فى كليات جامعة الملك سعود بالرياض ، وقد استمرت هذه المدة أربع سنوات

وعدت بعدها لجامعة الأزهر ، حيث عينت رئيساً لقسم الدعوة ثم وكيلاً لكلية الدعوة مع قيامي بعمادتها مؤسساً لها ، واستمراري رئيساً لقسم الدعوة في نفس الوقت .

وبعد ثلاث سنوات من العمل في جامعة الأزهر ، وفى كلية الدعوة الإسلامية أعرت لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، مدة استمرت ثلاثا وعشرين سنة .

وقد وفقنى الله فى كافة المجالات العلمية والإدارية والاجتماعية والمادية التى خضتها ...

فالحمد لله أن وفقنى وهدانى سواء السبيل .

وإنى هنا أذكر أهم ما وفقنى الله تعالى فيه ، وأعاننى على إتمامه ، تحدثاً بفضل الله ﷻ ، وأملاً في استمرار عون الله لي .

وأهم هذه الأعمال هي :

أولاً : أخرجت عددا من المؤلفات العلمية . ومنها :

١ – الدعوة في عصر النبوة .

٢ – علم الخطابة .

٣ – الخطابة العملية .

٤ – الأديان القديمة .

٥ – اليهودية .

٦ – النصرانية .

٧ – التنظيم الاجتماعى في الشريعة الإسلامية .

٨ – النظام السياسى في الإسلام .

٩ – النظام الاقتصادى في الإسلام .

١٠ – دعوة الأنبياء عليهم السلام .

١١ – السيرة النبوية والدعوة في العصر المكى .

١٢ – السيرة النبوية والدعوة في العصر المدنى .

١٣ – القول الدقيق في سيرة وعصر الصديق ﷺ .

١٤ – نظم الدرر في سيرة وعصر عمر ﷺ .

١٥ – حسن البيان في سيرة وعصر عثمان ﷺ .

١٦ – القول الجلي في سيرة وعصر علىّ ﷺ .

١٧ – قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين .

١٨ – تفسير الدعوة (الجزء الأول تحت الطبع) .

١٩ – الدعوة في العصر الحديث (من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

٢٠ – الدعوة الإسلامية أصولها ، ووسائلها في القرآن الكريم .

٢١ – عوامل النجاح وتحقيق الأمل .

٢٢ – الرسالة الغراء فى نصح الأنباء .

٢٣ – ديوان شعرى قصير (نظمته زمن الصبا) .

ثانياً : ساهمت بدور رئيسى في الأعمال العلمية التالية :

١ – وضع المناهج التفصيلية لقسم الدعوة بكلية

أصول الدين سنه ١٩٧٨م .

٢ – قمت بتأسيس كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة سنه ١٩٧٩م **من ناحية :**

(أ) تنظيم الهيكل العلمى لأقسام الكلية .

(ب) اختيار هيئة التدريس الأولى .

(ج) وضع المناهج التفصيلية للمقررات .

(د) تنظيم اختيار واختبار طلبة الدفعات الأولى .

(هـ) وضع اللائحة الداخلية للكلية للمرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا .

(و) وضع مبادئ المودة والتعاون بين كل من ينتسب للكلية بإنشاء الصناديق الاجتماعية .

ثالثاً : باشرت الدعوة من خلال :

١ – الإذاعة .

٢ – التليفزيون .

٣ – الصحف والمجلات .

٤ – مؤتمرات الدعوة والدعاة بباكستان ، والمدينة المنورة .

رابعاً : قمت بالإشراف على عشرات الرسائل المتخصصة في علوم الدعوة في الجامعات التي درست بها .

خامساً : ناقشت عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه في كلية أصول الدين ، وكلية الدعوة وغيرهما من الكليات التي عملت بها في مصر ، وخارج مصر .

سادساً : ألقيت المحاضرات فى :

(أ) كلية أصول الدين بالقاهرة .

(ب) المعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

(ج) كلية الشريعة بمكة المكرمة .

(د) كلية الدعوة وأصول الدين بمكة المكرمة .

(هـ) كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة .

(و) كلية التربية بجامعة الأزهر .

سابعاً : جعلنى الله سببا رئيسيا في تحقيق المكاسب التالية :

(أ) حماية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة من الذوبان في كلية أصول الدين بالقاهرة عندما حاول الكثيرون ذلك .

(ب) جعل القرآن الكريم مادة أساسية في مختلف الكليات النظرية والعملية بجامعة الأزهر ، ذلك أني حين رئاستي لقسم الدعوة بكلية أصول الدين قدمت مقترحاً لمجلس الكلية ليكون الامتحان في القرآن الكريم كله مادة أساسية يمتحن فيها طلاب الدراسات العليا فى قسم الدعوة[1] ، فوافق مجلس الكلية على هذا الاقتراح وعممه على سائر الأقسام . ولما عرض الأمر على مجلس الجامعة قرره على سائر كليات الجامعة بمقادير ومواصفات متغايرة .

(ج) المساهمة مع غيرى في المحافظة على كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ود حض محاولات من حاول إلغاء مقررات الثقافة الإسلامية وقسم القراءات من الكلية تمهيدا لإلغاء الكلية نفسها .

---

(١) كان دافعى الأول للتفكير فى اقتراح هذا القرار وجود أكثر من خمسة وثلاثين طالباً أقوم بالتدريس لهم فى الدراسات العليا أغلبهم يعمل إماماً وواعظاً . فرأيت أثر حفظهم للقرآن الكريم فى الإمامة والوعظ حيث عملهم (هذا إقرار لواقع يعلمه الله تعالى) .

(د) كانت جامعة الأزهر تصرف لطلاب كلية الدعوة بطنطا مكافأة شهرية تشجيعاً لهم ، فتمكنت بعون الله تعالى من سريان هذه المكافأة على طلاب كلية الدعوة بالقاهرة من جامعة الأزهر مع صرف ضعفها من وزارة الأوقاف .

(هـ) تمكنت بفضل الله تعالى من شراء أتوبيس للاستفادة به في نقل طلاب الدراسات العملية للمساجد التي يتدربون بها ، ومازال الأتوبيس موجوداً حتى الآن ، وإن تحول غرضه إلى نقل موظفي الكلية .

ثامناً : بالنسبة للنواحى الاجتماعية والمادية فلقد رزقت بسبع من البنين ، وثلاث من البنات .. أتموا جميعاً حفظ القرآن الكريم ، وتخرجوا من الجامعات المصرية ، وبعضهم حصل على درجة الدكتوراه .

وأفاض الله على الكثير من خيره وفضله وأمدنى بالكثير من العطايا ... .. وأنزلنى في إخوانى

وأصحابى ، ومعارفى منزلة حسنة ، وإنى أحبهم في الله ، وأعتز بحبهم .

تاسعاً : وفقنى الله تعالى فتوليت الأعمال الإدارية التالية ،. وقد أديت واجبى فيها بنجاح وتوفيق وهى :

(أ) توليت رئاسة قسم الدعوة بكلية أصول الدين بـ جامعة الأزهر .

(ب) كنت أول عميد لكلية الدعوة الإسلامية بالأزهر .

(ج) عينت عضوا بمجلس كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة عند تأسيسها .

(د) توليت رئاسة قسم الإعلام الإسلامى بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى **بمكة المكرمة** عند تأسيسه .

(هـ) قمت بالإشراف والإعداد والتقديم لبرنامج " مع الشباب " الذي كان يذاع من إذاعة نداء الإسلام من جدة طيلة أربع سنوات .

عاشراً : أعاننى الله بفضله وكرمه على :

١ – بناء عدد من المساجد .

٢ – إنشاء معهد الشيخ أحمد غلوش (والدى) الإزهرى الإبتدائى .

٣ – إنشاء معهد الدكتور أحمد غلوش الأزهرى الإعدادى .

٤ – إنشاء معهد الدكتور أحمد غلوش الأزهرى الثانوى.

٥ – إنشاء مؤسسة خيرية بمنية مسير باسم مؤسسة عبد الله أحمد غلوش الخيرية لتكون صدقه جاريه له يرحمه الله بها .

٦ – لم أقصر فى أى واجب دعانى الله إليه وأرجو منه سبحانه وتعالى دوام العطاء ، وحسن القبوك ، واستمرارية الخشوع له سبحانه وتعالى .

وبعد ،،،

هذه حياتى على صورتها الحقيقية ، أنظر إليها وأنا في قمة المشيخوخة ، فأحمد الله تعالى على عونه وتوفيقه ، وأقر بكل الصدق بأن منح الله ﷻ العديدة ، ونعمه الكثيرة التي أعطانيها لم أكن أتوقعها ، ولو قدر لى أن أطلب وأكتب ما أريده في مستقبلى ليتحقق وفق ما أكتبه ، وأحدده ، بلا تغيير أو نقص ، لو حدث ذلك ما طلبت الذي تحقق لأنه فوق تصورى ، وفوق أحلامى وفوق أمنياتى ، وفوق قدراتى الذاتية .

إنه قدر الله ﷻ وعطاؤه ، فالحمد لله والشكر له ، فهو صاحب الفضل والمنة ، والله ذو الفضل العظيم .

لقد بسط الله لى فى العلم ، والجسم ، والمال ، والذرية أرجو القيام بشكرها على الوجه الذى أرضى بها الله .

وزرع الله في ذاتى سعة الأفق ، وحب العمل ، ورغبة التعب ، مع رعايته سبحانه وتعالى وعونه وتوفيقه .

وأودع الله ﷻ في نفسى الصبر والرضى ، وتجدد الأمل ، وسرعة النسيان ، وعدم الحقد على أحد ... وذوبان الغضب فى وقت يسير .

وبارك ربى لى في عقلى وجهدى ، ووضعنى سبحانه في طريق الفلاح والنصر والفوز وفق مشيئته ، لا كما تمنيت ، ويسّر سبحانه لما قدّر وقضى .

وأكبرنى في عيون الناس ، وتصوراتهم ... وجعل بينى وبين كل من عاشرت حبل مودة لا ينقطع .

يقابلنى العديد من خريجي كلية الدعوة الإسلامية وعلى رأسهم أساتذتها ، والقائمون عليها ، وأشعر من كل واحد صدق المودة ، وإخلاص النية ، وصفاء الضمير ، وأرى الأرواح قد تلاقت ، وهذه نقطة من أهم عطاء الله لي ...

إني أرجو من كل من اتصل بي ، وكان له أمر معي أن يسامحني عن أي تقصير ، وأن يدعو لي بظاهر الغيب ، وليعلم

أني في أمس الحاجة إلى روحه الصادقة، ووده الجميل ، وآمل من هؤلاء الأصفياء أن نلتقي عند الله في مستقر رحمته ، وأن تكون صحبتنا في الدنيا هي زاد اللقاء عند المليك المقتدر .

كما أرجو من كل من علا صوتى معه أن يغفر لى زلاَّتى ، ويزنها بميزان سائر أعمالى معها ليسامحنى ، ولن يكون كريماً معى فى عفوه ، ورضاه ، معطاء فى ميزانه وتقديره ، ولسأله سبحانه وتعالى أن يزرع حبى فى قلوب عباده ، وملائكته هم الأقدر على القيام بهذا الدور المأمول .

لذلك وغيره أكرر الحمد ، والشكر والدعاء ، وأسأله ﷻ أن يقر المعبودية في قلبى ، ويطبع الخشوع على جوارحى ، ويختم لى بالتوفيق لأعيش الآخرة في النعيم المعظيم كما أحيانى في الدنيا بالسداد والتوفيق .

والله ولى كل ما أتمنى ... وهو على كل شيء قدير

أ.د/ أحمد أحمد غلوش

القسم الثانى

أسباب النجاح
وعوامل تحقيق الأمل

من :

- **واقع التجربة التي عشتها .**
- **ورأى العلم والعلماء .**
- **وتوجيهات الدين .**

أحاول تحديد أسباب النجاح ، وعوامل تحقيق الأمل بعدما عشت هذا العمر ، وباشرت تجربة إنسانية موفقة وناجحة كنت فيها قريبا من الله ، قريبا من العلم ، قريبا من الناس ، ملازماً للواقع ، متردداً بين النجاح والفشل ، مستمراً في العطاء ، راضياً بكل ما قضى الله ﷻ به .

ومن الممكن في هذا الإطار أن أحدد أسباب النجاح ، وعوامل تحقيق الأمل كما لمستها ، وعايشتها .. وهي في النهاية رؤية شخصية خرجت من رحم التجربة ، ومن وسط حياة طويلة اختلط فيها الواقع العملي بالنظريات الفكرية ، وأدرك فيها العقل قيمة القضاء الإلهي الفاعل لما يريد .

لقد ساعدني الله ﷻ في مسيرة الحياة ، ووفقني لما حصلت عليه ، وأنقذني من مضار كادت تعصف بي ، وأبعدني عن مزالق لا نجاة منها ، ووضعني حيث أتمنى لا كما أريد ، وأراني عظيم قدرته ، ودقة حكمته ، وأقنعني بعجز عقلي أمام قضائه العظيم .

وكثيراً ما قابلتنى حيل ضارة ومؤامرات خبيثة من أشخاص لا يحبون النجاح ، ويتمنون أن أدوم فى القاع والضياع ... لكن الله سبحانه وتعالى دافع عنى ، ورد كيد المعتدين بلا جهد منى ، وأحيانا بلا علم مسبق لى .

ومن هنا ...

أرى لزاماً عليَّ وأنا أقدم خبرتي وتجاربي أن أوضح للقارئ أهمية تقوية الصلة بالله ﷻ ، والاستعانة بمعيته ، واللجوء الدائم إليه ﷻ ، فهو سبحانه وتعالى القادر على إخراج الإنسان من قتامة المحن إلى نور الحياة ، وتحرير البشر من قيود الفشل إلى رحابة النجاح .... وهو ﷻ دافع الإنسان ليستمر في العطاء بلا غرور يعتريه ، أو اكتفاء بفوز يناله ، إن الله ﷻ هو المعين ، وهو الحافظ للإنسان في السراء والضراء .

إن الإنسان إذا حرم عون الله وتوفيقه اجتالته شياطين الإنس والجن ، وأوردته موارد الهلكة والآلام ، ولذلك كانت الاستعانة بالله ، والتوكل عليه خير معين للإنسان فى الدنيا والآخرة .

والآن .. إلى العوامل كما أراها :

العامل الأول

استعن بالله فهو رب العالمين

عند الإنسان ميل فطري للاستعانة بغيره ، وذلك يظهر وقت الشدّة ، وعند الحاجة .

إذا نزل بالإنسان أمر يسيئه أسرع إلى من يساعده من أصحاب النفوذ والقوة .

ترى الطفل يلجأ إلى والديه إذا أصابه أذى ، أو أراد شيئاً ، ويستعين الشاب بزملائه حين الحاجة إليهم .

وكلما عظمت الحاجة عظم المعين ، وزادت ضرورته .

ومن هنا جاء الإسلام ووجه الإنسان نحو مصدر القوة ، ومحرك الوجود الكبير ، الفرد ، الصمد ، العزيز ، الحكيم ، وهو الله رب العالمين .

إن الاستعانة بالله ﷻ ضرورة للإنسان في حياته ، وبخاصة في عمله ، وجهاده ، وسيره نحو أمانيه وأهدافه .

والاستعانة بالله ﷻ تحتاج إلى معرفته ، والثقة في التوجه إليه ، والتمكن من آداب الاستعانة ، والمحافظة على كافة الجوانب التي تساعد في تحقيقها .

إن كافة الأديان السماوية ، والمذاهب الوضعية تضع أمام أتباعها كياناً تؤلهه ، وتقدسه ، وتدعو الأتباع إلى أداء طقوس مادية ومعنوية ، وتدفعهم إلى التعلق به ، والتوجه إليه مهما كان فيه من إبهام وغموض .

ولـ الإسلام ـ من بين كل الأديان ـ يهتم بمعرفة الحقيقة ، ويقوم على الاختيار الحر ، والرضا التام ، ولذلك يتوجه الإسلام إلى العقل ابتداءً ، ويعرفه بحقيقة الله تعالى ، ولا يطلب منه عبادة وطاعة إلا بعد اقتناع العقل ، ووضوح المعرفة ، وحصول اليقين التام ، وللتصديق المطلق ، ولعل هذه النقطة هي التي جعلت الوحي الذي نزل في مكة قبل الهجرة ، قرآناً كان أو سنة ، يدور حول وضوح الحقيقة ، ونشر المعرفة ، ومناقشة الفكر ، وتعليم الحوار ، من أجل التصديق واليقين قبل أن يطلب من المؤمنين العمل والتطبيق .

ومعرفة الله تعالى تنطلق من الواقع الموجود ابتداءً من داخل الإنسان وحوله ، وانتهاءً بآيات الكون والحياة .

فالإنسان مخلوق لله تعالى ، ويكفي أن يتأمل في كيفية خلقه وطرق طعامه ، وشرابه ، وصلته بالكون من حيوان ، وطير ، وماء ، وهواء ، ويابسة ، وجماد ...إلخ .

إن لهذه المخلوقات خالقاً بالضرورة ، لأن الصدفة غير معقولة ، وذاتية الخلق مستحيلة ... ولابد من اتصاف هذا الخالق

بالقدرة التامة ، والعلم المحيط ، والإرادة المطلقة ، والوحدانية المجردة من الشريك والشبيه ، والمادية .

إن هذه المخلوقات وغيرها فيها النظام ، وفيها الدقة ، وفيها التكامل ، وفيها المقصد والغاية ، ولابد من صانعها أن يملك كل الصفات التي تمكنه من فعل كل هذا ، والمحافظة عليه ، والتحكم فيه بلا ملل أو انقطاع ، وعلى الإنسان أن يعي هذا ويعرفه .

ولكن ...

- لماذا كان الإنسان وحده ؟!
- ولماذا كان هو المكلف بالمعرفة والإيمان ؟!

والأمر هنا واضح ، لأن الإنسان هو المخلوق العاقل ، والكون كله مسخر له ، والعقل قوة الإدراك ، والتصور ، والتصديق

لقد سخر الله الخالق الكون للإنسان ، ودعاه للاستفادة منه ، وتنميته ، وطاعة الله فيه .

فالإنسان هو السيد ، وهو الخليفة بعقله ، وعلمه ، وحركته ، وهو المكلف القادر على الإدراك ، وتحمل المسئولية ، ولنقرأ سوياً وحي الله ﷻ في قرآنه وهو يؤكد هذه الحقيقة ..

يقول الله تعالى :

- ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ

تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ
إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ
وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا
تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ
شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ
﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ
وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا
وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ
فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1] .

ويقول سبحانه وتعالى :

- ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[2] .

والآيات واضحة في دلالتها ، لأنها تنطلق من واقع منظور لا ينكره جاحد أو شاك ، فهي تتحدث عن فضل الله على الإنسان وتعدد نعمه ﷻ ، وتؤكد ، وتكرر أنها " **لكم** " .

إنها تتحدث عن الحيوانات ومنافعها ، وتسخيرها .

---

(١) سورة النحل ، آية ٥ : ١٦ .

(٢) سورة النحل ، آية ١٧ : ٣٢ .

وتتحدث عن الماء والمطر ، وكيف يأتي .

وتتحدث عن الزروع ، والثمار ، والنبات ، وتحقيقها لحاجات الإنسان .

وتتحدث عن الليل ، والنهار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم والكواكب .

وتتحدث عن البحر ، وما فيه من أسماك ، ولحوم .

وتتحدث عن الجبال ، والنجوم ، وكلها نعم ضرورية لحياة الإنسان لا يستغني عنها .

ويكفي أن أقوى البشر في كفره وجحوده لا يمكن أن يدعي القدرة لنفسه أو لغيره على إيجاد مخلوق صغير من هذه المخلوقات المسخرة ، وأهل الجاهلية قبل الإسلام مع كفرهم بالله كانوا يؤمنون بقدرته ، ويعبدون أصنامهم وأوثانهم ، ويقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] .

إن الله ﷻ هو خالق الإنسان ، وهو الذي يتولاه ، وهو الذي يرزقه ، وهو الذي يميته ، ويحاسبه ، ويجاريه .

إن العلماء المعاصرين يحللون الموجودات ، ويدرسون عناصرها ، لكنهم لا يستطيعون إيجادها ، وإن وجدت العناصر في أيديهم .

---

(١) سورة الزمر ، آية ٣ .

هل يمكن لأحد أن يصنع ماءً ، أو هواءً ، أو حيواناً ، أو أى شيءٍ يشبه ما خلق الله ﷻ وإن ملكوا عناصره ... لا يمكن هذا ، ولم يتصوره أحد من العلماء المعاصرين ، يقول عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[1] .

يقول ابن عطاء الله السكندري : لقد أعطاك الله أيها الإنسان كل شيء ، ودبر لك كل أمر ، وحسن كل خلق ، وأحاطك برعايته ، وصانك بعنايته ، ومن حسن عطاء الله أيها الإنسان أن ... .

عرفك به فعرفته ، وتجلى لك فشهدته ، واستنطقك ، وألهمك الإقرار بربوبيته فوحدته، ثم إنه جعلك نطفة مستودعة في الأصلاب، ثم قذفك في رحم الأم ، وجعل الرحم لك أرضاً يكون فيها نباتك ، ومستودعاً تعطي فيها حياتك ، ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما ، ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد ﷻ أن ينقلها إليه ، ثم بعد العلقة مضغة ، ثم فتق في

---

(١) سورة الحج ، آية ٧٣ .

المضغة صورتك ، وأقام بنيتك ، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ، ثم غذاك بدم الحيض في رحم الأم فأجرى عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ، ثم أبقاك في رحم الأم حتى قويت أعضاؤك ، واشتدت أركانك ليهيئك للخروج إلى ما قسم لك أو عليك ، وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله إليك .

ثم لما أنزلك إلى الأرض علم ﷻ أنك لا تستطيع تناول خشونات المطاعم ، وليس لك أسنان ، ولا أجهزة تستعين بها ، فأجرى الثديين بغذاء لطيف ، ووكل بهما مستحث الرحمة في قلب الأم كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها لك في الأم مستحثاً لا يفتر ، ومستنهضاً لا يقصر ، ثم إنه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك ، والرأفة عليك ، والنظر بعين المودة منهما إليك ، وما هي إلا رأفة ساقها إليك ، وإلى العباد في مظاهر الآباء والأمهات ، تعريفاً بالوداد ، وفي حقيقة الأمر ، ما كفاك إلا ربوبيته ، وما حصنك إلا إلهيته .

ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ ، وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ، ثم رفع قلم التكاليف عنك إلى أوان تكمل الأفهام ، وذلك عند الاحتلام ، ثم إلى أن صرت كهلاً لم يقطع عنك نوالاً ، ولا فضلاً ، ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة ، ثم إذا قدمت عليه ، ثم إذا حشرت إليه ، ثم إذا أقامك بين يديه ، ثم إذا أسلمك من عقابه ، ثم إذا أدخلك دار ثوابه ، ثم إذا كشف عنك وجود حجابه

وأجلسك مجلس أوليائه وأحبابه ..... قال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾[١] ، فلأى إحسانه تشكر ، وأي آلائه وأياديه تذكر ؟!

ولسمع قوله تعالى :. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[٢] ، تعلم أنك لم تخرج ، ولن تخرج عن إحسانه ، ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه .

ولن أردت المبيان في تقلبات أطوارك فاسمع ما قاله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[٣] ، تبدو لك بوارقها ، وتبسط عليك شوارقها ، وفي ذلك ما يلزمك أيها العبد الاستسلام

---

(١) سورة القمر ، الآية ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٥٣ .

(٣) سورة المؤمنون ، من الآية ١٢ : ١٦ .

إليه ، والتوكل عليه ، ويضطرك إلى إسقاط التدبير ، وعدم منازعة المقادير ، والاستعانة الدائمة بعلام الغيوب[١] .

واسأل نفسك أيها الإنسان لتعرف فضل الله ﷻ عليك ...

- كيف يفكر العقل ؟
- وأين يذهب الفكر أثناء النوم ؟
- وما صلة العقل بالرضا والغضب ؟
- وكيف تتم عمليات الهضم ؟
- وكيف ومتى يتحرك الطعام في مجراه ؟ ، والماء في مسراه ؟ ، والدم في شرايينه ومأواه ؟
- كيف تتحقق القوة الحيوية في الإنسان ؟

يصف العلماء ، ويدركون الوظيفة ، لكنهم يقفون أمام سرّ الخلق ، عاجزين .

إن ذلك برهان على وجود إله قادر حكيم ، والأدلة كثيرة :

- ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[٢] .
- ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾[٣] .

---

(١) التنوير فى إسقاط التدبير ص١٤٦ .

(١) سورة الذاريات ، آية ٢١ .

(٢) سورة فصلت ، آية ٥٣ .

إن الله الذي يجب أن يعرفه الإنسان هو صانع كل ذلك ، إنه الخالق الرحيم ، الخبير ، المحيط ، العليم ، البصير ، القادر. ، المهيمن ، إليه يرجع الأمر كله ، وكل ما فى الوجود فعله وأثرُه ولا حول ولا قوة إلا به ، وإذا أراد شيئاً قال له " كن " فيكون .

ومن هنا ...

وجب أن. يستعين به ا.لإنسان. وهو في طريق ا.لأمل لينال الثبات. في حركته ،. والتوفيق في قراراته ،. وللتجديد في عزيمته وهمته ، والتغلب على وساوس الشيطان ، ونزعات المثبطين .

لو استعان الإنسان بالله تعالى حقيقةً لحقق الله له ما يريد .

لو استعان العبد حقاً بربه لرضى بكل قضائه وقدره ، لعلمه التام بسابق فعل الله له قبل أن يكون .

يقول ابن عطاء الله السكندري : " إعلم أن الله كان لك قبل أن تكون لنفسك ، فكما كان لك مدبراً قبل أن تكون ولا شيء من تدبيرك معه ، كذلك هو ﷻ مدبر لك بعد وجودك ، فكن له كما كان لك ، يكن لك إذا كنت له " .

ولذلك قال الحسين الحلاج : " كن لي كما كنت لي ، في حين لم أكن شيئا "[1] .

إنه سأل الله أن يكون له بالتدبير بعد وجوده ، كما كان له بالتدبير قبل وجوده ، لأنه قبل وجود العبد كان العبد مدبراً بعلم

---

(١) التنوير فى إسقاط التدبير ص١٥٢ .

الله ﷻ ، وليس هناك للعبد قبل وجود .

لكن ...

كيف تكون الاستعانة الحقيقية بالله تعالى ؟

هي تبدأ بمعرفة الله تعالى معرفة تامة ، وصادقة على نحو ما ذكرنا ، وتمر بالإيمان بصدق ما علم إيماناً يستلزم الطاعة والانقياد .

إن الإسلام لم يضع الله ﷻ في صورة يتغنى به الإنسان ، ويستنزل بها البركات ، وهو يمدحها بالحديث المنمق الجميل .. وإنما الإسلام معرفة وإيمان ، يؤدي إلى الطاعة ، والقيام بالعبادة التي تجعل الله تعالى هو المعبود الوحيد والمطلق ، وتجعل الإنسان العابد الصادق الملتزم بطاعة الله ﷻ فكراً، وقولاً ، وعملاً ، وحالةً.

إن الإسلام يجعل الإنسان عبداً ربانياً ، دقيق المعرفة ، قوى الإيمان ، وثيق الصلة بما حوله من مخلوقات الله تعالى .

إنه يريد إنساناً مؤمناً ، متعلقاً بالله ، عبداً له ، مستعيناً به في كل حالاته ، وجميع حوائجه .

ومن هنا نقول للإنسان العاقل : استعن بالله ، وتوجه إليه بالدعاء ، وللطلب ، فهو العليم بأحوالك ، المستجيب لرجائك ، ولابد من طاعته .

ادعى قوم محبة الله ﷻ ، ولستعانوا به ، فعرفهم بشروط محبته ، وطريق نوال معونته فقال لهم ﷻ :

- ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١) .
- ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢) .
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(٣) .
- ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٥٤ .

(٣) سورة التوبة ، آية ١١١ .

تَبۡدِيلاً ﴾[١] .

فمن استجمع هذه الشروط الإيمانية فهو المؤمن الصادق ، يعيش في معية الله ﷻ ورعايته ، وهو المستعين بخالقه بحق .

إن الاستعانة بالله تعالى تحقق عدداً من النتائج في الإنسان :

♣ إنها تجعله هادئاً ، مطمئناً فقد أدى ما عليه ، وترك الأمر لله تعالى مؤمناً بقوله تعالى :

- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾[٢] .

- ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾[٣] .

♣ إنها ترزقه التحمل والصبر ، فقد أسلم أمره لمشيئة الله ﷻ ، وتوكل على حوله وقوته ، مؤمناً بقوله تعالى﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[٤] .

♣ إنها تنشط العمل ، وتقرب الأمل ، حيث لا مستحيل أمام قدرة الله ﷻ ولا مانع أمام إرادته ﷻ وقدرته ، يقول الله

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٣ .
(٢) سورة محمد ، الآية ٢ .
(٣) سورة التغابن ، الآية ١١ .
(٤) سورة محمد ، آية ٧ .

تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١] .

فيا أيها الإنسان :

١ – استعن بالله ولا تعجز .

٢ – واعلم أن هذه الاستعانة خير معين في الطريق .

٣ – وتيقن أن كل ما يقع هو بإرادة الله تعالى وقدرته .

٤ – عش مع القدرة المسيطرة ، والتزم بآدابها .

٥ – تمتع بعطايا الله ﷻ وأنت تعمل وتتحرك .

٦ – لا تتعجل ، ولا تيأس وأنت مع الحكيم الخبير .

٧ – لا تعترض ، ولا تتوقف فكل الأمور مقدورة .

٨ – تأمل في جمال الكون وانظر ∴ إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاهدات ∴ بأن الله ليس له شريك

٩ – تأمل في نفسك ، وفي الكون من حولك ليطمئن قلبك ، ويقوى إيمانك .

١٠ – أعلم أن الأمور مقدورة ، فاستقم وكن عزيزا .

١١ – لا تضيع وقتا فى العبث ، فالوقت هو عمرك .

١٢ – الإنسان العابد المستقيم ، هو السعيد فى الحقيقة .

---

(١) سورة يس~ ، الآية ٨٢ .

(٨٩)

العامل الثاني

ليكن أمامك هدف

يتميز الإنسان بالعقل المفكر ، والطاقة المدبرة ، وهو بواسطة هذا التميز يعمل دائماً لغاية ، ويتحرك لهدف مقصود ... الإنسان هكذا طوال عمره .

الطفل الصغير يبكي إذا أراد أمه ، ويأكل ليشبع ، ويلعب ليجذب غيره ويحوز على رضاه .

ولكل مرحلة عمرية غاياتها وأمانيها ، ومن البيئة المحيطة بالإنسان تتشكل الأماني والرغبات في صورتها الأولى .

الطفل الصغير يتمنى أن يكون مثل أبيه ، ولذلك يقلده في حركاته ، ونطقه ، وعمله خيرة كانت أو سيئة .

رأيت طفلاً صغيراً يأتي بورقة بيضاء يلفها كأنها سيجارة ويشعلها ويشمها ليكون مثل أبيه بعدما رآه يدخن .

ورأيت فتاة صغيرة تجلس أمام المرآة تلون وجهها لتحاكي أمها

إن هؤلاء الصغار لهم هدف يحاولون تحقيقه بأفعالهم ، فإذا ما كبر الوليد وبدأ في الاختلاط بأقرانه في المدرسة ، وفي الشارع ، وفي أماكن النشاط العام كالمسجد ، والنادي ، فإنه يترقى في تحديد الهدف الذي يريده كالسبق في الدراسة ، والتفوق في اللعب ، وتمني الشهرة والمال .

وليست الأهداف صالحة كلها لأن الواقع هو بذرة الآمال ، والبيئة هي المنطلق لسائر الناس .

وقد قال علماء النفس : إن الطفل يبدأ في اكتساب العادات بعد مولده بشهور قليلة .

وهناك غاية أساسية يلمسها كل إنسان في حياته ، وهي حب البقاء ، التى هى للكائنات كلها .

إذا تعرض الإنسان لمخاطر معينة فإنه يبادر إلى التخلص منها حباً في البقاء .

وإذا صادف الإنسان حيواناً مفترساً فإنه يهرب منه حباً للحياة .

وإذا علم وجود بيئة موبوءة بمرض خطير فإنه يبتعد عنها حباً للبقاء .

والقطة إذا شعرت بخطر تهرب .

وزهرة النبات تنطبق على دودة تدخلها لتقضى عليها .

إن حب البقاء عند الإنسان غاية عليا يسخر لها كل أعماله ، ونشاطه ، ودون هذا الهدف العالي هناك أهداف عديدة ، هناك هدف لكل عمل ، وهدف لكل يوم ، وهدف في كل دراسة ولقاء ، وهدف في كل أعمال الإنسان وسعيه .

إن الهدف والغاية أمر مرتبط بالنشاط الإنساني دائماً .

إني أهمس في أذن الآباء والمربين ليغرسوا في عقول الأطفال والصغار الأهداف الصالحة المناسبة لأعمارهم ، وطاقاتهم .

لقد كنت في صغري أسمع أبي وهو يطلب مني أن أحفظ سورة قرآنية أقرؤها أمامه ، وكنت أجعل هذا الطلب غاية أسترضيه بها ، واستمر والدي معي هكذا حتى حفظت القرآن الكريم كله .

عودني أبي أن أعمل لغاية ، مهما كانت بسيطة ، ومحدودة لأنها تمثل قوة دافعة للعمل حيث يسهل بها الصعب ، ويهون معها الطريق ، وتمثل كذلك قوة جاذبة ، يقرب بها البعيد ، ويتم التلاؤم المتين بين الفعل والغاية .

إن العمل بلا غاية ضرب من العبث ، يضعف الهمة ، ويقلل العزيمة ، ويضع الإنسان في إطار اليأس والقنوط ، ولا يتقبله إلا الحيوان الذي لا عقل له ، فهو يعيش للسخرة ، وطاعة صاحبه ، والقيام بالوظيفة المؤهل لها .

ولذلك يهتم العلماء والمربون برسم الغايات السامية للإنسان ليتبناها ، ويسمو بها فى كل مراحل عمره .

والإسلام يعمل لإيجاد الإنسان الصالح ، المستقيم في فهمه ، وقيمه ، وحركته ، ونشاطه ، وسائر عمله ، ولذلك حدد الغايات ورسم الطريق .

لقد جاء الإسلام ، وحث على العمل ، وأرشد إلى غايات عديدة تدعو للعمل ، والسعي ، والكفاح ، **وعرف الإنسان بذلك فقال تعالى :**

- ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾[١] .
- ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلاً ﴾[٢] .
- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ﴾[٣] .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[٤] .
- ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[٥].
- ﴿ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴾[٦] .

وربط الإسلام بين العمل والأمل ليضع الإنسان أمام مسئولياته ومنافعه فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾[٧] .

---

(١) سورة محمد ، آية ٧ .
(٢) سورة الكهف ، آية ٣٠ .
(٣) سورة الزلزلة ، آية ٧ .
(٤) سورة محمد ، آية ١٧ .
(٥) سورة النساء ، آية ١٢٤ .
(٦) سورة الجن ، آية ١٣ .
(٧) سورة الطلاق ، من الآية ٢ : ٣ .

وضرب الله صوراً لنتائج العمل الصالح ، وأخرى لنتائج العمل الطالح ، لتكون دروساً معبرة أمام الإنسان المكلف ، يستفيد بها في سعيه وعمله ، ويرجو أمثالها في غاياته ومنافعه فقال ﷻ : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ...

وقال ﷻ : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

لقد نادى علماء النفس بضرورة وضع مثال عملي أمام الإنسان ، يحتذيه ، ويرجوه لنفسه ، ويتمنى أن يكونه ... وبذلك يتحول المثال أمام الإنسان إلى غاية وهدف .

إن الغاية هي الأمل ، وهي سر الحركة في الحياة ... يتمنى الآباء لأبنائهم حياة طيبة ، ويعمل المربون لتكوين المواطن الصالح ، ويجتهد المجتهدون لتحقيق الفوز والفلاح ، وتلك غايات وأهداف لا بد لها من عمل ...

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة الزمر ، الآية ٢٩ .

لو بدأت أيها الإنسان عملاً لا هدف فيه فلن تكمله ..... وتصور أنك اشتركت مع زميل لك في عمل لا تعرف جدواه ، وتصور أن زميلك ترك هذا العمل فهل تستمر أنت ؟

بالقطع ستتركه حيث لا هدف لك ، أما لو كان لك هدف فيه فلن تتركه ، لأن الهدف لن يتركك تهرب منه .

ومن قديم قال الزعيم مصطفى كامل: لا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس .

وليس بالضروري أن يتحقق الهدف لصاحبه ، فلربما انعكس الأمر ، وتحقق الفشل ، وغاب الهدف ... وهنا يجب على الإنسان أن لا ييأس ، بل عليه أن يتحرك وينشط من جديد عساه أن ينجح في المرات الجديدة ...

سأل أحد الناس حكيماً تربوياً ، وقال له : تمنيت أمراً عملت له مائة محاولة ، ولم يتحقق ماذا أفعل ؟

فأجابه : إبدأ في المائة الثانية ، واستمر حتى يتحقق .

إن كثيراً من زعماء العالم صادفوا الفشل مرات ومرات ، ولكنهم تحملوا وعملوا ، ولم ييأسوا حتى تحقق أملهم .

إن رسول الله ﷺ دعا قومه في مكة فقابلوه بالصدّ والإيذاء ، ومع ذلك استمر ﷺ يدعو ويدعو حتى دخل الناس في دين الله أفواجا .

لو لم يرزق المرسول ﷺ الهمّة العالية ، والإصرار الكبير ، والصبر الجميل لترك الدعوة عند بداية الطريق ، لكنه ﷺ أعلن خطته ، وعزمه ، وإصراره وقال : " **لن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه** "[١] ، وأطاع الله ﷻ وهو يأمره بقوله ﷻ **﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلاً ﴾**[٢] .

رسب أحد أقاربي في الشهادة الإعدادية إلا أن عزيمته لم ترسب ، ولذلك ضاعف المجهد حتى كان ترتيبه الأول على المدرسة في السنة التالية .

وقد مرت بي حالات كاد الأمل أن ينقطع ، ولكني لم أكن أتوقف لأن الحياة لم تتوقف ، ورأيت أن توقفي سيعزلني عن الركب المتحرك ، ولن يعذرني أحد ، ولن يفيدني أحد ، وسيلفني اللوم من كل ناحية .

ولذلك كنت أنشد أملاً جديداً ، وغاية أخرى ... وكان الله ﷻ معي فأبعدني عن اليأس ، وحبّب لي العمل ، وزيّن أمامي الآمال والأحلام ... وكنت أتفحص وأتابع أخبار العظماء ، وأستفيد منها الكثير .

لقد نشأت في بلدة ريفية ، وكان بها عالم فذ ، حاصل على شهادة العالمية " **الدكتوراه** " ، وكان يتميز بالعمق العلمي ، وبمزايا

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ج١ ص٢٦٦ .
(٢) سورة المعارج ، آية ٥ .

الخطيب الجيد ، وقد أنزله أهل البلدة منزلته ، فهو مفتيهم وقاضيهم ، وهو مقصدهم وقت الحاجة ، ومعينهم في قضاياهم ومشاكلهم ، وقد رزقه الله سعة في العلم ، والمال ، والبدن .

وكان أبي يقول لي : إني أدعوا الله لك أن تكون مثل هذا العالم ... وبرغم بعد المسافة بيني وبينه إلا أني أخذت أبحث عن بعض أعماله ، وتصرفاته لآخذ منها ما أستطيع ...

رأيته جريئاً في المواقف ، حاسماً في الحكم ، ولاحظت فيه سعة العلم ، وحب العمل السياسي ، والميل إلى معايشة الناس ، ومشاركتهم هموم وقضايا الحياة ، والرغبة في الكسب والتجارة ، وشاهدته وهو يتعامل مع المسئولين وغيرهم ... ففسرت نجاحه بما رأيت ، وتمنيت بعضها لنفسي ، واتخذته مثالاً أتأمله ، وأحذو حذوه .. والفضل في ذلك لوالدي الذي كان يتمنى لي أن أكون مثل هذا الرجل ، أو قريباً منه ... والحمد لله فقد أعطانى الله تعالى الكثير ، وأكثر ، وعدّد ، ونوّع .

فلما بلغت مرحلة اليفاعة ، وصرت شاباً يتعلم في الأزهر سما بي الأمل وعشت سيرة رسول الله ﷺ وصحابته ... وآمنت بقوله ﷻ : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

ومن هنا بدأت آخذ أسوتي من رسول الله ﷺ ومن صحابته رضوان الله عليهم ، ومن قصص القرآن الكريم ، ومن أمثاله التي أنزلها الله تعالى ، وضربها للناس .

وبذلك صارت لي أسوة عليا أرتضيها بإيمان ، وآخذ منها بيقين ، رغبة في تحقيق ما أتمنى وأرجو .

ومن المعلوم أن البيئة الأولى للإنسان ، والاتجاهات السائدة في المجتمع ، والثقافة الاجتماعية الذائعة بين الأفراد تمثل قوى مؤثرة ضاغطة في رسم الآمال والأحلام .

فبيئة التجار تبرز قيمة التجارة ، وتنشر ثقافتها ، وتحسنها في عيون الناشئة ، وتجعلها أملاً لهم وغاية .

وبيئة العلم تحبب الدراسة ، والبحث ، والقراءة ، والجري وراء الحقائق .

وأذكر أني تعلمت من خالي "نصر" شقيق والدتي تجارة الأقمشة وحياكة الملابس بعدما عاشرته في مهنته وشاركته في عمله مدة طويلة ، ولولا قدر الله ﷻ لكنت تاجراً مثله .

ولو كانت البيئة فاسدة فإنها تنشر فسادها ، وتعود أبناءها عليه ، وتهبط بالغايات إلى صور لا ترضى عاقلاً ، ولا تفيد أحداً .

ولهذا تجد في الناس مدمن الخمر ، وجماعة المسرقة ، والفوضويين ، بسبب ما في البيئة من فساد ، وتخلف .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة وهو يقص دعوة نوح عليه السلام على قومه ،ـ يقولـ ﷻ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[1] .

وكان العرب قبل الإسلام يربون أولادهم في البادية الواسعة ليتعودوا على جمال الطبيعة ، وعمق الفكرة ، وتعود المشاركة ، وتعلم التعاون ، والتخلق بكل جميل في الطبع والسلوك .

والدراسات التربوية الحديثة تهتم بوضع النشء في بيئة معينة ، يقصد بها الآباء زرع آمال معينة في أولادهم ، لأن هذه التربية تقوم برسم الغايات ، وتقدمها في صور محببة نظرياً وعملياً من خلال التعامل ، والدرس ، والقصة ، والنشاط الحر ، وغير ذلك ، لتصير أملاً للصغار ـ يحبونه ،ـ ويتمنونه ،ـ وينشأون ـ عليه ، ويتحركون نحوه ... وفي بعض الحالات يكلفون الصغار بأعمال ومهام ـ تعد تطبيقات ـ للغايات ـ التربوية التي يعملون ـ على تنشئة الصغار عليها .

---

(١) سورة نوح ، من الآية ٢٦ : ٢٨ .

يقول بعض العلماء : أعطوني مائة طفل ، واطلبوا مني ماذا تريدونهم أجعلهم كما تريدون .

من الضروري توجيه الصغار إلى الغايات المحببة ، وإرشاد الكبار إلى الآمال الجميلة ، وإبراز النجاح فى مقام كريم .

وفي الإطار التعليمي أرى أن تقديم الإسلام للناس بصورة صحيحة ، ومناسبة أكبر عامل لإيجاد الغايات النبيلة ، وغرس هذه الغايات في النفوس ، وتنشئة الأجيال على حب الإسلام ، والعمل له ، والسعى لنشره فى العالم كله ، كما تدفع المسلم للاعتزاز بدينه ، والسعي الدءوب لخدمته .

إن الإسلام فى حقيقته هو نتاج الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وهى تحتاج إلى المزراعة المبكرة في القلوب والعقول ، لينشأ الصغار مؤمنين صادقين ، لأن من شبَّ على شيء شاب عليه .

وينشأ ناشئ الفتيان منا ∴ على ما كان عوَّده أبوه

والصورة الصحيحة التي نوصي بتعليم الصغار والكبار بها الإسلام تحتاج إلى توضيح المعارف التالية حول الإسلام :

١- الإسلام جاء لإصلاح الحياة ، وإسعاد الناس ، وذلك أمر لا بدّ أن يفهمه الناس بأسلوب مبسط وطريقة سهلة ، وصورة عملية ، أنظر إلى وصية رسول الله ﷺ لابن عباس ، وهو يقول له : "**يا غلام ، إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله**

يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف "[1] إنه ﷺ يركز على أهمية حب البقاء وحب الحفظ والنجاة ، وحب الإخلاص والخلوص ، ولذلك يوصي به في كلمات قصيرة واضحة ... إنه ينطلق من حاجة الإنسان ، ويجعلها أساساً لطاعة الله تعالى ، ويحمل الإنسان مسئولية الواجب ليفوز بالحق ، ويتحقق الأمل ، ويؤكد له ﷺ أن قدر الله نافذ ، وكل شئ يقع كما كتبه الله تعالى .

رأيت رجلاً فقد أسرته في حادثة فأصابه اليأس ، وقعد به عن المسعي فأخذت أجالسه ، وأبين ضرورة التسليم للقدر ، والرضى به ، وعرفته أن الأمل لا ينتهي من الدنيا ، وعليه أن يبدأ من

---

(١) سنن الترمذى . أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ج٤ ص٨٤ . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

جديد ، وليكن الصبر هو رائده ، إن الذي أخذ قادر على أن يعطي ...

وتساءلت معه عن جدوى اليأس والقنوط ، لأن ما ضاع لا يعود ، ولا يحقق اليأس إلا العجز ، والمرض ، وسوداوية الحياة .

وظللت به حتى عاد لطبيعته ، وكون أسرة جديدة وتجددت آماله وأمانيه .

إن الإسلام يعايش المواقع ، ويتعامل برفق مع طبائع الناس ، وهو بمنهجه قادر على إيجاد النور وسط الظلام ، وتحقيق الخير وسط جبال من الشرور ، إن الشتاء لا يدوم ، والظلام لا يستمر ، وللراحة نتيجة التعب ، وللقلق بداية السعادة ، والخوف بداية الرجاء ...

ومن المؤكد أن معرفة الإسلام كنز يمدّ صاحبه بالأمل .

ومن حلاوة الإسلام :

أنه جعل تحقيق الأمل في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً غاية كل نشاط إسلامى .

ودعا الإسلام إلى الحرص على الفوز بالجنة كما حث على النصر في الدنيا .

وحدد الطريق بالإيمان الصادق ، والعمل الصالح ..... وبهذا يستمر الإنسان في السعادة الحقيقية التي تخالط الضمير والسلوك ، وتعيش مع الظاهر والباطن ، فإن فاتته هذه السعادة في الدنيا فعليه أن يعمل لتحقيقها في الآخرة ، وهي هناك أحلى ، وأجمل ، وأدوم .

٢- الإسلام بتشريعاته سهل ميسر لا يحتاج إلى تعقيدات الفلاسفة ، وشطحات البلغاء ، ويجب أن يشعر بهذه السهولة كل مكلف بالإسلام .

إن الإنسان يحب الراحة ، ويكره التعب ، ولذلك كان من حسن الدعوة إيصال هذه السهولة إلى عقول الناس وأفهامهم ، وحين نعيش مع يسر الإسلام وسهولته نراه يتقدم إلى القلوب والعقول .

ويجب التركيز على هذه السهولة ، وإبرازها للناس وبخاصة للصغار ، والملتزمين الجدد ، وللأجانب الذين يدخلون في الإسلام لأن هذا الإسلام متين ، والأولى الولوج فيه برفق وأناة .

ولا يجوز عقلاً ولا شرعاً أن تكلف المصغير ، والحديث عهد بالإسلام بالمشاق ، والأولى أن

تأخذه إلى التكاليف شيئاً فشيئاً ، ونعرفه بالرخص ، وما في الإسلام من التيسير والسهولة ...

يقول الله ﷻ :

- ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[١] .
- ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٢] .

رأيت مرة رجلاً ألمانياً دخل في الإسلام حديثاً ، وحضر إلى مصر ليفهم الإسلام أكثر ، ويتعلمه من علمائه ، فأحضره زميل إلى حلقة للذكر الصوفي فلم يفهم الرجل شيئاً ، ولولا يقظة البعض الذين تولوا مصاحبة الرجل ، وتعليمه ، وتوجيهه ، لولا ذلك لعاد الرجل إلى بلده بلا شيء .

٣- الإنسان مجال للتعليم في كل مراحل عمره ، فهو منذ صغره يتحرك لغاية ، إذا رأى الرضيع أمه بكى لتحمله ، وإذا أراد الطفل شيئاً طلبه .

يستمر الإنسان في كل مراحله يتحرك ويعمل لتحقيق غايات معينة ... وكلما امتدّ عمره كثرت آماله وأعماله ، وتحرك نحو

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

(٢) سورة الحج ، آية ٧٨ .

أهداف يرجوها ، وبدون الغاية يكون العمل عشوائياً لا فائدة فيه .

عندما توليت شئون كلية الدعوة الإسلامية وجدت أنها كلية حديثة النشأة وليس لها مثيل تتبعه ، وتستفيد بمناهجه ، ورأيت بعض المسئولين يستنكر نشأة الكلية ، مدعياً عدم الحاجة إليها ... ورأيت حينئذٍ أهمية الردّ على هذا البعض بطريقة علمية وعملية وشرعية ... هنا تحددت غاية ، ونظرت لأهميتها ... وواصلت العمل ليلاً ونهاراً ، واستعنت بإخواني ، وتمكنا في فترة وجيزة من تنظيم أقسام الكلية ، ووضع مناهج كل قسم ، وعمل اللائحة الداخلية للكلية ، وقدمت مشروعاً للدراسات العليا في الكلية ، وطبعت ذلك في كتيب صغير ، مع بيان موجز عن أهمية الكلية ونشاط طلابها ، وصار هذا الكتيب أبلغ ردّ على من يشكك في الكلية وينادي بإدماجها في غيرها ...

وقد ساعد على إنجاز ذلك تحديد الغاية المقصودة ، ومعرفة الهدف الذي كنا نتحرك فيه .

أتعجب من آباء ينفصلون عن أبنائهم ، ويتركونهم لأصدقائهم ، وأقرانهم ، مع أن الواجب أن يرعى الوالد أبناءه منذ صغرهم ليشترك معهم في رسم الغاية ، وتحديد الوسائل لها ، والإشراف على سلوكهم حتى لا يعصف بهم جنوح الشباب ، ودعاة السوء .

إن المولد الصغير يفهم من والده أكثر ، ويأخذ منه أسرع ، ويحاول التشبه به في أخلاقه ، وحركته ، وأحواله ، ولذلك كان

الولد أمانة عند والديه يسألهما الله ﷻ عنه يوم القيامة .

ولنعلم جميعاً أن الإنسان مخلوق يتعلم في كل مراحله ، ويحتاج إلى من يعينه ، ويرشده سائر حياته ، وليس هناك أفضل من الأبوين للقيام بهذا الواجب وهم مسئولون عنه .

قد يشرف الآباء على سلوك أبنائهم ، ويأخذون في توجيههم ونصحهم بلا تحديد الغايات أمامهم ... وهذا أمر طيب إلا أنه يحتاج إلى تحديد الأهداف من وراء التوجيه والإشراف لإيجاد الدافع الذاتي للعمل ، وتحقيق حب السعي والكفاح .

لقد كان والدي يوجهني لحفظ القرآن الكريم ، ويعلن سعادته لكثرة صلاتي في المسجد ، ولم يتوان عن مكافأتي بقدر استطاعته عندما يرى مني ما يسره ...

لقد صنع أبي معي حباً ومودة ، حرص كلانا على تنميتها ، وتمتعت أنا بجدواها وأثرها ، فرحمة الله لأبي .

إن الحب بداية التعلق ، وأساس الرغبة ، وهو الطاقة السرية المؤثرة في الإنسان .

أيها الإنسان : لا تتصور لنفسك زمناً لا مسئولية فيه ، ولا عملاً لا غاية له ، ولا إنساناً لا يحتاج لنصح وإرشاد ...

ويا أيها المسلم : اجعل الإسلام علمك وعملك ، واجعل إرضاء ربك غايتك ، وانشد الخير لنفسك ، ولغيرك ، فإنه يأتيك

وعاشر كل من يعينك على الطريق ، وتذكر أنك مسئول عن نفسك وأهلك ، وعن كل إنسان لك به صلة والتقاء .

أيها الإنسان : لا تترك الفراغ يقتلك ، ولا تدع اليأس يقعدك واعلم أن من أراد العلا سهر الليالي ، ولا تخف من السبق والتقدم ، وما دمت قد رزقت المطاقات. والملكات. المتي تحركك للغايات. ، وتمكنك من الرفعة ، فلا تكسل ، ولا تفتح باباً للشيطان يلجه إلى قلبك ، واعلم أن العظائم كفؤها العظماء .

ومن يتهيب صعود الجبال .:. يعش أبد الدهر بين الحفر

أيها الإنسان المسلم : عش معي في إرشادات الوحي الكريم

: يقول الله ﷻ :

- ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١] .
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٢] .

ويقول النبي ﷺ فيما يرويه أبو هريرة :

- **" كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى " .**

قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟

قال ﷺ : " من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى "[١] .

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٩ .
(٢) سورة النساء ، آية ٦٤ .

ويقول ﷺ : " **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة**[٢] .

انتبه معي أيها الإنسان الجاد إلى الحقائق التالية :

١ – تعرف على الهدف الذي تقصده من أي عمل ، وفي كل وقت .

٢ – تأكد من قيمة كل هدف تتمناه حتى لا يذهب عمرك سدى .

٣ – املأ ضميرك قناعة بأهدافك ، واعقد النية على الوصول إليها .

٤ – نظم أهدافك حتى لا ينسي بعضها بعضاً ، أو تعيش مع الأدنى منها وتترك الأعلى .

٥ – العقل أداة معرفة الغايات ، والجسم مركب الحركة فحافظ على عقلك وجسمك ليقوما بدورهما معك .

٦ – واعلم أن قيمة العمل في الإسلام مرتبط بقيمة القصد والغاية ، " **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ ج٩ ص٩٣ .

(٢) سنن الترمذى . أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، وقال : هذا حديث صحيح .

ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "[١] .

٧ – الوساوس الشيطانية تزين الهوى ، وتبعد عن المعالي...

فحاذر النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فانتبه

٨ – إن وصلت قناعتك إلى قرار معين فاكتبه ، وراجعه مع نفسك عدة مرات لتجعله قاعدة ومبدأ لك .

٩ – حدد الواجب والتزم به .

١٠ – واعرف حقوقك ولا تتهاون فيها .

١١ – تخير الصديق الذي تعايشه .

١٢ – تخير الهدف ، والتزم بالطرق الموصلة إليه .

١٣ – لا تيأس لأن الأمل يتجدد ، ولا حياة مع اليأس .

١٤ – لا تحزن على ما يفوتك ، وواجه الواقع بإيجابية .

١٥ – تأكد أنك واحد فى المجموع ، ولست أنت المجموع ، لأنك في الحقيقة واحد .

١٦ – راجع نفسك وحاسبها حتى لا تطغى ، وأنقد ذاتك قبل أن ينقدك غيرك بلوم أو عقوبة .

١٧ – تعامل مع الحياة على حقيقتها ، ففيها الماديات والمعنويات ، وفيها القيم والخلق ، وفيها الجمال والخير.

---

(١) صحيح البخارى . باب بدء الوحى ج١ ص٦ .

(١٠٩)

العامل الثالث

قم بالعمل الذي يخدم الهدف

الإنسان مخلوق عاقل له طاقات ، وملكات ، ودوافع ، وشهوات ، وذلك كله يحتاج إلى قيادة حكيمة تحدد لكل جانب دوره ، ووظيفته بحيث لا يطغى جانب على غيره ، أو يرضي أمر دون سواه .

إن الكون المخلوق مركب من جزئيات عديدة ، ألهمها خالقها وظيفتها فهي تقوم بها في حدود ما خلقت له .

أنظر إلى اليابسة ففيها الجبال ومعادنها ، والوديان وخصبها والسفوح والروابي، والتلال وما تحويه من رمال وجمال، ولكل وظيفته في بقاء الحياة .

وأنظر إلى المياه كيف تكونت في الأفق العالي ؟ وكيف نزلت وتحركت حتى صارت أنهاراً ، وآباراً ، وبحيرات ، وبحار ... ؟

انظر إلى الزرع وتنوعه لوناً ، وطعماً ، ووظيفة .

وهكذا الوجود كله ، الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والكواكب والأفلاك ، والمجرات ، والحيوانات، والطير، والحشرات ، وسائر جوانب الكون والحياة .

إن شيئاً من المخلوقات لم يوجد عبثاً ، وكل شيء موزون ،

بقدرة حاسمة ، ودقة عادلة ، تصون الوجود ، وتنظمه ، وتوجهه في مساره الذي خلق له .

ولـلإنسان جزء من هذا الكون ، أوجده خالقه ﷻ ، وكرمه بالعقل ، ليسود هذا الكون ، ويستفيد بما فيه من خيرات وحركات

ولن يتم له ذلك إلا إذا تكامل ذاتياً ، وأشبع كل مكوناتها بما يرضيها ، ويحولها إلى عضو إيجابي في الكيان الحياتي كله .

والعقل في الإنسان هو قوة الفهم ، والإدراك ، وعليه مسئولية التصور والحكم ، فهو القائد الواعي الذي عليه أن يستقيم ولا يحيد ، وهو أفضل ما منَّ الله به على عباده ، فلا تستعمله إلا فيما يرضيك ، وينميك .

الإنسان العاقل يسخر قواه للعمل الصالح ، كلٌ بقدرها وقدرتها ، ويوجه ملكاته إلى الإبداع المفيد ، والإنتاج الطيب ، ويرضي عواطفه وشهواته ، ويشبع عواطفه ووجدانه بالخير المشروع الجميل

الإنسان العاقل هو الذي يحرك كيانه كله في تناسق ، وتناغم ليقوم بوظيفة الإنسان بعيداً عن الكسل والمَلَلْ ، مستفيداً بدوافعه ، مسخراً شهواته لكل مشروع صالح .

مخطئ من يتصور الإنسان فرداً واحداً ، إنه كتيبة كاملة ، تحتاج إلى قيادة واعية ، تحركه نحو غاياته بكل ممكن مباح ، بعيداً عن أي انحراف أو اعوجاج .

وقد نادى ابن مسكويه العقل ليكون قائد الإنسان في حركة الحياة ، حتى لا تطغى شهواته ، أو تضيعه حيوانيته .

إن الشهوة قوة إشباع عدوانية ، والجانب المادي قوة طاغية والعقل هو قوة الفكر والفهم ، وله الحكم والرأي ، ولابد من قيادته لسائر القوى ليتمكن من حماية القيم الإنسانية ، وصيانة الوجود العادل في الحياة .

والجانب العضوي في الإنسان الذي يعمل بإلهام رباني برهان على أن الأداء المنظم للأعمال يحافظ على الإنسان ، وينميه ، ويحقق له السلامة والأمان ، وعلى العقل تنظيم أعماله الإرادية على ضوء ما يرى من حركة أعماله اللاإرادية .

إن جوارح الإنسان الظاهرة ، ومكوناته الباطنة تعمل وتؤدي وظيفتها بلا توقف ، وبذلك يعيش الإنسان .

ومن هنا ...

نؤكد على العمل والتنسيق والنظام ، ونطالب الإنسان بأن يؤدي الواجب الذي خلق له .

إن الله ﷻ خاطب العقل ، وعرفه بالتكاليف ، وأمره باليقظة وأوجب عليه أن يحافظ على كيان صاحبه بإرضاء عواطفه ، وإشباع دوافعه ، وتنمية بدنه ، والتسامي في خلقه وسلوكه في إطار شرع الله العزيز الحكيم .

إن العمل يكون بالفكر ، والتأمل ، والحركة ، والكلمة ، والأداء

والعقل بسلطانه وقدراته مسئول عن توزيع العمل ، والوقوف على النتائج لأنه موطن الخطاب ، ومناط التكليف ، وهو القائد الواعي الذي يوجه العمل نحو ما يُراد منه .

والإنسان له آماله وغاياته التي يتمناها ، والعقل يضعها في إطارها المقبول .

المعقل يفرق بين الممكن والمستحيل ، ولذلك فالأمل عنده صورة مجسدة واضحة ، والطريق إلى الأمل يدركه العقل ، ويحدد مداه ، ويقدر كيفية القيام به .. وما دام للإنسان غاية وأمل فلابد له من حركة وعمل .

إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وللنتائج لا تأتي بلا مقدمات ، والنجاح لا يكون بغير عمل ، وقد ربط الله ﷻ الأسباب بالمسببات ، والعلة بالمعلول ، ليستقر في العقل أن العمل هو الوسيلة الوحيدة والضرورية للوصول إلى الغايات ، وتحقيق الآمال.

والعمل يحتاج إلى الصبر ، والتحمل ، وترك اليأس والملل ، يقول النبي ﷺ : " **لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها ، يبلغ الجنة بها ، وينجو من النار** "[1] ، لأنه يملأها بالعمل والطاعة .

وقد جاء عن عيسى عليه السلام أنه قد مرَّ بمتعبد فقال له : من أين تأكل ؟

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الدعاء ـ باب النهى عن سب الليل والنهار والشمس والقمر عن ابن مسعود ج٣ ص٢٣٩ .

فقال : أخي يطعمني .

فقال : أخوك أعبد منك .

أي أخوك وإن كان في سوقه أعبد منك ، لأنه بعمله أعانك على الطاعة ، وفرغك لها .

- يقول الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[١].
- ويقول سبحانه : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾[٢] .
- ويقول ﷺ : " **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولد الرجل من كسبه** "[٣] .
- عن جميع بن عمير عن خاله قال : " **سئل النبى ﷺ عن أفضل الكسب فقال بيع مبرور وعمل الرجل بيده** "[٤] .
- ويقول ﷺ : " **التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة** "[٥] .

فكيف يجوز لأحد بعد هذا أن لا يسارع إلى السعي والعمل .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨٢ .

(٣) سنن أبو داود ـ كتاب الإجازة . باب فى الرجل يأكل من مال ولده ج٣ ص٥١٣ .

(٤) مسند أحمد ج٣ ص٤٦٦ والحديث صحيح .

(٥) سنن ابن ماجه . كتاب التجارات . باب الحث على المكاسب .

ومن فطرة الإنسان أنه لا يخلو من حركة وعمل ، فإن لم يشغل وقته بالعمل النافع المفيد شغلته نفسه بالعمل الضار السيء فأي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ؟! ، يقول النبي ﷺ : " **عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل** "[1] .

في حياتي لم أضيع وقتاً بلا عمل ، وكلما وجدت وقتاً بحثت عن هدف أعمل له ، لدرجة أني كنت أعمل لعدة أهداف في وقت واحد رغم صعوبة الأعمال ، وتباعد الأهداف، وكنت أقول لنفسي: " **اعملي فإذا لم يتحقق هذا الهدف تحقق غيره** " ، **وهكذا حتى لا يملكني اليأس والقنوط** .

والإنسان بفطرته يعيش وسط عدد من الأهداف ، والعاقل من يحدد أهدافه ويعمل لها .

الإنسان يهدف لتحسين حياته الاجتماعية ، وتنمية وضعه الاقتصادي ، ورفع مستواه العلمي ، وتقدم درجته الوظيفية ، وتوسع أنشطته التجارية ... كل هذه الأهداف تتجمع في شخص واحد ... فهل يكفيها عمل واحد ؟!

ومن المستحسن أن يكتب الإنسان الأهداف التي يتمناها ، ويحدد الطرق إليها ، ليحاسب نفسه إن حدث قصور أو عجز .

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٤ ص٣٤٥ .

قد تحتاج التنمية العقلية إلى التفكر ، والتدبر ، والتركيز ، والعمل لها يقوم على القراءة والتحصيل ، والتأمل في تجارب الآخرين ، ونجاحاتهم .

والعواطف ، والقيم الإنسانية تتضاعف بمودة الناس ، ومساعدة المحتاجين ، وزيارة المرضى ، ومشاركة الآخرين في مناسباتهم سواء كانت خيراً ، أو شراً ، والتعلم ينمي العلم ، والبيع والشراء طريق الكسب ، والحصول على المال .

وقوة البدن تحتاج إلى تنظيم الطعام والشراب ، وممارسة الرياضة وفق ما يراه الرياضيون ، وعلماء التنمية والنماء .

حاسب نفسك أيها الإنسان إذا أهملت في أعمال النجاح ، وسجل كل قرار تصل إليه ، أو تتصوره ، ولا تتهم غيرك ، فأنت مسئول عن نفسك ، وقرارك بيدك .

تأمل في قصص النجاح ، وركز على أعمال الناجحين ترى فيهم حماسة الجد ، وقوة الشخصية ، والإصرار على أداء الواجب بلا خوف ، ولا خجل ، فلا تتردد وكن مثلهم ، واعلم أن هؤلاء العظماء سلكوا منهجاً حسناً في أعمالهم ، فهم يتحركون بخطة ، ويقسمون عملهم إلى مراحل ، ويتدبرون في نهاية كل مرحلة ليضاعفوا الإيجابيات ، ويتجنبوا السلبيات .

إن العمر ساعات ولحظات ، وما يمضي منه لا يعود ، واللحظة التي تنتهي تقصير في العمر ، فلا يجوز إضاعة العمر

عبثاً بلا عمل .

يقول عبد الرحمن بن زبيد الإيامى : " **ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى : أنا يوم جديد ، وعلى عملك شهيد ، فانتهزني فإني لا ألقاك إلى يوم القيامة** "[١] .

والزمن خلق من خلق الله تعالى يأتي يوم القيامة شاهداً لك أو عليك ، والوقت من ذهب إن لم تقتنصه ذهب ، والقلب في يقظته يعد العمر بدقاته . **يقول الحكيم العربي :**

دقات قلب المرء قائلة له ∴ إن الحياة دقائق وثوان

ويقول آخر :

يسر المرء ما ذهب الليالي ∴ وكان ذهابهن له ذهابا

والعاقل من اتعظ بغيره .

وتأمل مسيرة الحياة مع الناس ، وخذ منها ما يفيد ، واعلم أيها الأخ الكريم أن كل شيء عظيم ، طريقه طويل ، ومتاعبه كثيرة ، وعليك أن تقدر للأمر ، وتتحمل قسوة العمل ، ومشاق الطريق ... واعلم أن العقلاء في كل العصور أجمعوا على أن النعيم لا يدرك إلا بالتعب ، والراحة لا تأتي إلا بعد المشقة .

يقول الشاعر :

فكل مرجي معالي الأمور ∴ بغير اجتهاد فهو في المحال

ويقول آخر :

---

(١) الحلية لأبى نعيم ج٢ ص٣٠٣ .

لولا المشقة ساد الناس كلهم ∴ الجود يفقر والإقدام قتال

دخلنا الأزهر مجموعة من أبناء البلدة في عامين متتاليين ، واختلفنا في الحرص والعمل ، حيث اجتهد من اجتهد ، وتكاسل من تكاسل ، وكانت النتيجة أن من جدّ وجد ، ومن عمل حصد ،

وضاع أمل الكسالى ، ولم يتحقق لهم ما قصدوه ، ولما تقدموا في السن أصابهم الندم ، وحاول بعضهم تعويض ما فات بمشقة مضاعفة ، وعمل دءوب ، وهذا درس عملي عشته ، وعاشه أقراني أسوقه ليستفيد منه العقلاء .

والفوز والفلاح جزاء العمل والكفاح ، إن الله لا يكافئ الكسالى ، ولا يحابي النائمين .

يقول الله تعالى :

- ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[١] .
- ﴿ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾[٢] .

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[٣] .

---

(١) سورة الكهف ، آية ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٩٥ .
(٣) سورة الطلاق ، آية ٣ .

- ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[1] .

قد يجتهد الإنسان ولا يرى أثراً ، وواجب عليه أن يستمر في اجتهاده وعمله ، ويترك الأمر لله ﷻ ، لأن النتيجة بيده وقدرته سبحانه ، ولـ الإنسان مسئول عن نيته وعمله ، وليس مسئولاً عن النتائج والآثار ، ولربما ادّخر الله الأثر لساعة يحتاج الإنسان فيها إلى هذا الأثر .

إن على الإنسان أن يفكر ، وعليه أن يترك التدبير لله .

وصدق من قال مؤمناً بالله تعالى :

لا تدبر لنفسك أمراً ∴ فأهل التدبير هلكى

سلم الأمر تجدنا ∴ نحن أولى بك منك

وقال آخر :

على الإنسان أن يسعى ∴ وليس عليه إدراك المعالي

ومن تجاربي التي عشتها أني كنت أعمل ، ولا يتحقق الأمل ، وينقلب الأمر إلى غير ما كنت أُؤمِّل فيه ، وأجده أحسن وأجمل مع أني حين المتغيير كنت أتألم .... وقد أثبتت الأيام أن تدبير

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٧ .

الله ﷻ أعظم ، وحكمته معي أبلغ ، والخيرة في اختيار الله تعالى أقوى وأفضل .

لقد أجبرت عليّ تغيير المسار التعليمي الذي كنت أتمناه ، وظهر الخير فيما أُجبرت إليه ، وعوضني الله ﷻ باختياره ، وتدبيره خيراً لسلامة النيّة ، وبذل الجهد ، واستصحاب حبّ الخير للناس .

في فترة الشباب يرسم الشباب لأنفسهم مستقبلاً معيناً ، ويعملون له ، ويبذلون الجهد في الطريق إليه ، ومع ذلك ينقطع أمل البعض ، ويفسد الطريق الموصل إليه ... وواجبه في هذه الحالة أن يخلص عمله في وجهة أخرى ، ويسلم بقدر الله تعالى ، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ... ﴾[١] .

أيها الشاب المسلم توكل على ربك ، واعمل ، واترك النتائج لله ، وارضَ بما يحدث ، واترك الخيار لله ، فهو ﷻ ﴿ **يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ** ﴾[٢] .

إن القدرة الإلهية لا تغيب عن الخلق لحظة ، فعش في حدود قدراتك ، وارضَ بما قسم الله لك لتنعم باليقين ، وتسعد بالرضى وتستشعر معية الله ، واعلم أن كل ما يحدث هو قضاء الله ﷻ ، يعلمه منذ الأزل ، غيبه عنك لتعمل ... فلا تجزع لسوء ، ولا تفرح

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢١٦ .

(٢) سورة القصص ، آية ٦٨ .

لخير ، وسلم لقضاء الله فيك ، فإذا ما وقع انتهى دورك وعملك ...

يقول الله ﷻ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١) .

وسارع أيها الإنسان إلى القيام بالعمل ، وقسمه على أوقاتك ولا تسوف أو تؤجل ، لأنك لا تضمن فراغك ، وصحتك ، وللشيطان مدخل عندك ، يحببك في الكسل ، ويزين الراحة والسكون .

فقاوم النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فانتبه

وإن وسوس لك خناس لتدع عمل اليوم إلى الغد كن حذراً فما يدريك أن هذا الغد سيأتي ، أو أنك ستعيشه ، أو أن نتيجة العمل تنتظره .

لا تؤخر عمل اليوم إلى غدٍ ∴ إن يوم العاجزين غد

إن الجد ، والنشاط ، والعمل ، والنظام هم أسلحتك الحاسمة لقطع الطريق والوصول إلى نهايته ، والفوز بالأمل المراد .

---

(١) سورة الحديد ، آية ٢٢ .

اعمل واجتهد ، وتذكر هذه الحقائق :

١. فطرة الإنسان لا تعرف الفراغ ، فاشغل نفسك بالخير لتترك سواه .
٢. الوجود كله يتحرك فلا تتوقف أنت .
٣. الضعيف الذي يعمل خير من القوي الكسول .
٤. ازرع زهرة في بستان الحياة تشم رائحته ، وترى رياحينه .
٥. إن وصلت إلى القمة بالعمل فحافظ عليها بمضاعفة العمل حتى لا تسقط منها .
٦. سجل كل يوم ما أديت من عمل ، وحدد ما سوف تعمله في الغد .
٧. المعرفة المجردة لا تحقق شيئاً ، ولابد لها من عمل .
٨. تأمل في الأمل المطلوب ، وانسَ طول الطريق .
٩. لا تترك الخوف يتسرب إلى نفسك ، وتغلَّب على دواعيه .
١٠. الحياة تتحرك كالنهر فكن جزءاً منها ، واعلم أن القعود والكسل يؤدي إلى التناقض ، وعدم الاستقرار .

(١٢٢)

العامل الرابع

قوِ عزيمتك بقهر التمرد داخلك

طريق تحقيق الآمال طويل ، يحتاج من صاحبه إلى بذل كل جهد يمكنه من الوصول .

والإنسان بطبعه متقلب الهوى ، ينتقل من القوة إلى الضعف ويعلو الأمل أمامه ويهبط ، وتبرز أمامه الإيجابيات ، وقد تأتيه السلبيات في وقت آخر .

والإنسان معرض للوسواس الخناس من الجِنَّة والناس ، تثبط همته ، وتنأوا به عن الصواب ، وتسهل أمامه الكسل والخمول ، وتغريه باللعب واللهو ، وتزين أمامه الراحة وترك الجدّ .

إن الإنسان معرض لهذه القوى الضارة التي تعيش داخله ، وتتحرك في نفسه بنشاط ، ويسعدها أن تحقق ما تعمل له .

وكل إنسان يرى في نفسه هذه القوى بأثرها الواضح ، وحيلها الماكرة .

يبدأ العابد في صلاته راجياً الخشوع والتعبد فإذا بالشيطان يوسوس له بما يجوز ، وما لا يجوز ليصرفه عن عبوديته القانتة ويشغله بأفكار لا تنتهي إلا بانتهاء الصلاة .

يريد الإنسان أن يقوم للعمل فيجد من داخله من يطلب الانتظار ...

يريد الطالب أن يذاكر فتناديه قوى الشر إن في الوقت متسعاً..

يريد المؤمن أن يقوم للذكر والقراءة فتناديه وساوسه أن يتأنى حتى يتحقق كذا وكذا .

وهكذا ...

تجد قوى الشرّ في نفس الإنسان الأمارة بالسوء نصيراً ومعينا ، يساعدها في إضاعة المهم ، وإضعاف العزائم ، ولذا وجب الحذر ، والأخذ بطرق طردها ، والتخلص منها .

كنا ونحن صغار نعزم على الحفظ وللقراءة ، وإذا بنا نجد أنفسنا نلعب ونجري فنترك ما عزمنا عليه .. ولولا شدّة التربية ، ومراقبة الآباء ، وملاحظات الشيخ لتمكنت قوى الشرّ منا ، وأهلكتنا .

فى المرحلة الثانوية كنت أجد طالباً يلازم المذاكرة ، ويؤدي الواجب ، لا يشغله أمر آخر ... وكنت أرى غيره يحب اللعب ، ويضيع وقته في اللهو ، وأسألهما عن سبب توجه كل منهما ؟ **فيجيبني الأول** بأنه يحب النجاح ، ويتمنى أن يكون متفوقاً ، ليصير أحد علماء الأزهر ... **ويجيبني الثانى** بأنه يحب النجاح إلا أن الوقت طويل ، والمذاكرة سهلة ، والتحصيل لا يحتاج لكل هذا الجهد والعناء .

وكنت أعجب لوجود المبررات ، والأسباب الدافعة لكل واحد منهما ، وانحزت بفطرتي إلى الطالب الأول ... وكانت النتائج تظهر صدق الاتجاه الأول ، وخسران الاتجاه الثانى .

إن العزيمة هي وقود العمل ، وكلما كانت العزيمة قوية يكون العمل قوياً ، وإن ضعفت يعتري القلب الانكسار ، والفتور .

وتقوي المعزيمة بالاقتناع المنفسي ، وتنظيم خطة المعمل ، وتجديد الأمل ، والتوكل على الله ﷻ .

فى المرحلة المجامعية ، وحين تخصصت فى قسم المدعوة حرصت على التفوق ، ولذلك كنت دائم العمل والمذاكرة لدرجة إنى كنت أقوم فى الليل إذا ذهب النوم عن عينى وآخذ فى المذاكرة .

وأقرر هنا أمراً ظهر لي أثناء التطبيق العملي وهو ضرورة تنظيم الوقت ، وللمحافظة على تنشيط المعزيمة بالأمور المحببة للنفس ، المجددة للحركة ، منعاً للملل ، والسآمة .

حدث أن اتفقت مع زميل لي هو الأستاذ/ **إبراهيم عابدين** على أن نقضي أيام العيد في المذاكرة ، ولا نضيعها في الزيارات والتهاني ، ولذلك قررنا السفر إلى " **طنطا** " بجوار المعهد الديني بعيداً عن الأهل لتكون أيام العيد للتحصيل والمذاكرة ، وبخاصة أن الامتحانات كانت بعد العيد بأيام قليلة ، وكانت تجربة قاسية لم نكررها مرة أخرى ، لأننا عشنا أيام العيد نبكي حزناً على البعد عن آبائنا ، وأمهاتنا ، وأخواتنا ، وأهالينا في هذه الأيام السعيدة الطيبة

وخرجنا سوياً بدرس واحد خلاصته ضرورة التنسيق في العمل ،. وتقسيم الوقت بين الجدّ والراحة ،. وإعطاء. كل جانب حقه ، وليكن وقت الفرح. للفرح ،. ووقت اللعب للعب ،. ووقت المذاكرة للمذاكرة .. إن العمل يحتاج لترتيب ، ونظام ، وتنسيق .

ومن حينها كان لنا وقت نخصصه للراحة والمرح ، نتحدث سوياً ، ونذهب إلى المنتزهات ، والنوادي ، لنستعيد النشاط ، ونشبع حياتنا بما يرضي الله تعالى ، وخصصنا للراحة يوماً في الأسبوع .

إن الله ﷻ لم يجعل الوقت كله للعبادة ، وإنما قسم اليوم بين النوم. وللعمل ،. وبين السكون. وللحركة ،. وحدد. للإنسان. حقوقه وواجباته على الزمن كله .

وليعلم المسلم أن هذا الدين متين ، فليوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى .

ليقدر الإنسان لكل أمر قدره ، وليحدد عمله على قدر طاقته ولا يكسل ولا يتهاون ، وليقسم الأعمال على الأزمان ، ولا يؤخر عمل اليوم إلى الغد .

وعلى الإنسان أن يكون عاقلاً في نظرته للأمور ، متأملاً في كافة ا.لاحتمالات. ،. ولا. يدع. الهواجس تلعب به ،. ولا. يترك الخيال يرسم له طريقاً من سراب .

على الإنسان أن يتعامل مع نفسه ، ويؤدي الواجب في وقته بلا غرور في طاقته ، وبلا تسويف في الواجب .

في صغرنا قرأنا قصة الأرنب والسلحفاة اللذين تسابقا في قطع طريق طويل ،. فازت. فيه المسلحفاة مع بطئها على الأرنب مع سرعته ...

اعتمدت السلحفاة على عقلها ، وأخذت تتحرك مع بطئها شيئاً فشيئاً بلا انقطاع حتى وصلت للنهاية ، لأنها قدرت قواها ، وقامت بواجبها .

أما الأرنب فقد غرته سرعته ،. ولعب به هواه ،. فقرر. أن يستريح وينام. ،. وظن أنه بعد النوم. سيلحق بالسلحفاة،. ويسبقها فأخذه النوم. ،. ولم يستيقظ إلا. بعد وصول. المسلحفاة إلى نهاية السباق ففازت ...

ولذلك قالوا : " قد تسبق العرجاء ... وقد ينجح محدود العقل ".

ومن هنا ...

كان. من الضروري. استصحاب. العزيمة القوية مع المعمل ، ولتكن هذه العزيمة مع طريق الأمل لتستمر العزيمة ، وتدوم في إطارها المعنوي المؤثر ، تعايش النفس ، وترضي العقل ، وتثير العواطف ، وتحرك الوجدان ، وتقود عمل الجوارح وحركتها .

وبذلك يصير الإنسان قوة في حركته لا يعرف الملل ، ولا يسلم للكسل ، ولا يعتريه غرور ، وإن طال به المدى .

إن التوقف فى منتصف الطريق عجز .

والانسحاب من أداء الواجب انهيار للعمل كله ...

والراغب فى رؤية طلوع الشمس ينتظرها بشغف حتى الصباح ولا ينام ...

تخيل نفسك تسير فى الصحراء أملاً فى الوصول لموطن ما وأصابك التعب والإرهاق .

هل تتوقف عن السير ؟

وهل تجلس حيث أنت ؟ ...

وهل تنتظر الموت وأنت قادر على تلافيه ؟

إن هذا التصور مرفوض لأنه يعنى الهلاك والدمار ... وهنا يأتى دور المعزيمة لتحمل صاحبها على العمل ، وتحثه على مواصلة التقدم ، وتزين له الطريق ، وتشجعه على بلوغ الهدف ، وتحقيق الأمانى.

أيها الإنسان مع طول العام الدراسى يذاكر المحريصون المجتهدون خلاله أملاً فى النجاح الذين يسعدهم حدوثه مع أن وقت النجاح قصير .

أيها الإنسان :

- لا تؤجر عمل اليوم ... إن يوم العاجزين غد .
- حينما يأتيك الكسل تذكر الأمل ، وحلاوة النصر .

- إذا عزمت فتوكل على الله ، وانطلق ، لأن صورة الفشل سوداء .
- إصطحب فى حركتك كل ما يقوى همتك ، ويشدك إلى العلا .
- المرجولة عزيمة وعمل ، فلا تكسل فى وقت حاجتك للعمل .
- استمرارية العزيمة ، وقود الحياة ، فحافظ عليها لتصون الحياة لنفسك ، وللناس .

العامل الخامس

اتخذ لنفسك صديقا مخلصا

في مسيرة الحياة يحتاج الإنسان لغيره ، يشاركه العمل ، ويزامله في الأمل ... وتلك فطرة بشرية جاء الرسل لتنظيمها ، والرقي بها .

وجاء الإسلام يعلم الناس أن يكونوا كياناً واحداً ، متعاوناً على الخير ، بعيداً عن أي سوء .

والبشرية على كثرتها ، وانتشارها تعود لأب واحد وأم واحدة وعلى كل فرد أن يدرك ذلك ، ويتحرك نحوه ، فمهما تعددت الأوطان ، وتنوعت القبائل فوحدة الأصل باقية تنادي الناس ليتعاونوا ، ويتعارفوا ، ويضع كل إنسان نفسه في خدمة الآخرين يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

والإنسان سريع التأثر بمن يعاشره ، ولذلك حسن له أن يتخذ من الناس صديقاً يلازمه ، ويستشيره ، ويشاركه الرأي والتوجيه ... وليكن هذا الصديق مخلصاً لصاحبه ، واعياً للحياة مقدراً ظروف العمل والناس ، جاداً في أداء الواجب ، وملازمة شرع الله تعالى ، لأن المرء على دين خليله ، فلينظر الإنسان من يخالل .

وقد قال الحكماء :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

فإن كان ذا شرّ فجانبه سرعة

وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

إن الإنسان يألف المحاكاة ، والتشبه بغيره ... وفي ذلك تقمص للصفات التي يراها في صديقه ، لأنها أساس إعجابه ، وصحوبته .

وقد اتخذ الرسول ﷺ أبا بكر ﷺ صديقاً ، لازمه في حياته ، ورافقه في الهجرة ، واتخذه مع عمر ﷺ وزيرين ، وجعل بجانبه المستشارين الأمناء لأهمية التشاور في مسار الحياة، ولذلك قالوا:

" **من شاور الرجال شاركها في عقولها** "

ولعل ذلك هو السرّ في المؤاخاة التي عقدها النبي ﷺ بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار ، حتى يخلص كل صحابى لأخيه يناجيه ، ويشاركه أمور الحياة ، ويعينه على الطاعة والتسليم ،

ويقويه في مواجهة طيف الشياطين ، ويساعده إن ألم به مكروه أو احتاج لمساعدة .

إن الإنسان مدني بطبعه ، ولذلك حسن له أن يتخير من يصادقه حتى لا يقع في صحبة لئيم يضره ، أو يعاشر كذوباً يؤذيه ، ومن الحكمة " اختيار الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق " .

إن الصديق المؤمن مخلص في نصحه ، صادق في مشورته نافع لصاحبه ، يقول النبي ﷺ : " **إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ، ونافخ الكير ، فبائع المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة** "[١] .

وقد رغب الإسلام في الصحبة القائمة على الإيمان ، والصدق لما فيها من نفع للإنسان ...

- يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: "**أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم فى ظلى ، يوم لا ظل إلا ظلى**"[٢]
- وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " **إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله .**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المبيوع .. باب فى المعطار وبيع المسك ج٣

(٢) صحيح مسلم . كتاب البر والصلة ج٨ ص١٢ .

قالوا ، يا رسول الله فخبِّرنا من هم ؟

قال ﷺ : هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ ﷺ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١][٢] .

- ويقول ﷺ : " **لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي** "[٣] .
- ويقول ﷺ : " **الوحدة خير من الجليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة** "[٤] .

أعرف بعض الآباء عالجوا كسل أبنائهم بتوجيههم نحو مصاحبة زملاء جادين ... وتحقق لهم ما أرادوا .

وأعرف أناساً وصلوا إلى النجاح بسبب الصداقات الطيبة .

إن الصديق المخلص له تأثير كبير على صاحبه ، لأنه يعرف حقيقة الأمور من زميله ، ويشترك معه في رسم العمل المطلوب .

---

(١) سورة يونس ، الآية ٦٢ .
(٢) سنن أبى داود ـ كتاب الإجازة . باب فى الرهن ج٣ ص٥١٣ .
(٣) سنن أبى داود ـ كتاب الأدب . باب من يجالس ج٥ ص١٠٨ .
(٤) مسند الشهاب ج٢ ص٢٣٨ .

إن الصديق المخلص أشبه ببستان وارف الظلال ، يانع الثمر ، متنوع الشجر ، أينما قصدته أعطاك من خيره .

فى بلدتنا كنا عدداً من الطلبة ندرس فى الأزهر ، وقد انقسمنا إلى فريقين ، حيث المجتهدون فريق متعاون على العمل والعطاء ، والآخرون على عكس الفريق الأول ، وبذلك تأثر كل فريق بأفراده فزاد المجتهدون اجتهاداً ، وعاش اللاهون فى لعب وهوس .

وحين عملي بالخارج عشت صورتين مع الأصدقاء ...

ففي عملي بجامعة الملك سعود بمدينة الرياض عايشت مجموعة من الزملاء ، وكانت أغلب اهتماماتنا مادية حيث الحرص على الدنيا ، والتعلق بأسبابها ، وكانت النتيجة سيئة انتهت بأن اختلف كل واحد مع الآخرين ، وبعد الكل عن الكل حاملين ذكريات سيئة عن هذه الفترة ...

ولما ذهبت **للعمل بجامعة أم القرى** بمكة المكرمة صاحبت مجموعة من الزملاء الصادقين مع الله ﷻ ، ومع أنفسهم ، المهتمين بالقيم ، والفهم الصحيح للدين ، وقد استفدت منهم لنفسي وأولادي ، لدنيانا وأخرانا ... وبرغم تباعد الديار بيننا الآن ، لاختلاف البلدان ، فمنهم المصري ، ومنهم السعودي ، ومنهم اليمني رغم ذلك فإني أقرر بكل الصدق أن الأثر العلمي ، والعملي الذي أخذته منهم كثير ... لقد تعلمت منهم أن قيمة الحياة بطاعة الله ﷻ ، وأن قدر الله غالب ، وأن الصحبة الصالحة كشجرة مثمرة

، دائمة الثمر ، تعطي خيرها باستمرار ، وتنشر الخير والمودة في القلب ، والعقل ، والروح ، وتعلم الخلق الكريم لكل من يتصل بها .

عشنا سوياً روح العفو ، والتسامح ، وبعدنا معاً عن الشطط والغلو ، وتأكدت أن التربية الحسنة تحتاج لبيئة يتمتع أعضاؤها بسمات واحدة حسنة ، ليأخذ الصغير أياً كان من الكبير أياً كان ، صنعنا جميعاً أمام الصغار بيئة راقية فى خلقها ودينها ، فنشأ الأبناء على الصلاح ، والاستقامة ، وحب الخير ، والعمل الطيب ونشأ البنات على الحجاب ، وروح الإسلام الصحيح .

دعائى الدائم لهذه الصفوة الكريمة ، فهم جميعاً معدن سليم ، وخلق كريم ، وسلوك قويم ، وأسأل الله تعالى أن يجمع بيننا فى الآخرة كما جمع بيننا فى الدنيا .

فاحرص أخي الإنسان على تخير الصديق الصالح ، وتعاون معه ، واستفد منه ، لتعيش سعادة الدنيا ، وتنعم في الآخرة .

أيها الإنسان :

- ♣ الإنسان المخلص جوهرة نفيسة فالتقطها .
- ♣ في إطار الصداقة تنتشر القيم ، والعادات ، فتخير لنفسك .

- ♣ يقول الإنسان بعد ضياعه : ﴿ **يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلاً** ﴿٢٨﴾ ﴾[١] .
- ♣ الصديق الوفي يعينك في حياتك ، ويدعو لك بعد موتك ويمد وفاءه إلى ولدك ، وذريتك .
- ♣ أكرم النبي ﷺ امرأة ثم قال : **إنها كانت صديقة لخديجة وكانت تحب خديجة ، وكانت تأتينا أيام خديجة**[٢] .
- ♣ المثمرة المطيبة نتاج شجرة طيبة ، فاهتم بالمؤثر لتسعد بالأثر .
- ♣ صديقك من صدقك لا من صدَّقك .
- ♣ الشدائد تظهر معادن الرجال .
- ♣ تخير الصديق قبل الطريق ليساعد فى الوصول .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٢٨ .

(٢) الأدب المفرد للبخارى ج١ ص٩١ وهو حديث صحيح .

ـ العامل السادس ـ

تأمل تجارب الناجحين

يتعجل الإنسان نتيجة العمل ، ويعتريه الخوف من عدم التوفيق ، وبخاصة في الأهداف البعيدة التي تحتاج لوقت طويل حتى تظهر وتتضح ، وقد يؤدي هذا بالإنسان إلى الملل والكسل .

والإنسان في هذه الحالة يحتاج إلى ما يطمئنه ، ويؤكد له أن سعيه في الطريق الصحيح .

ولا يعلم الغيب إلا الله ، ولا نبوة بعد النبي محمد ﷺ ، وليس بعد الوحى مخبر بالغيب إلا الرؤيا الصادقة يراها الرجل الصالح أو تُرى له ... ولن يعتمد أحد على تأويل الرؤيا إلا قليل من الناس .

وهنا ...

تبرز أهمية التجارب السابقة لأناس وفقهم الله ﷻ للوصول بأعمالهم لما رغبوا فيه ، وعملوا له .

إن التجربة عملية متكاملة تبين مراحل العمل ، وتوضح مشاق الطريق ، وتظهر النتائج التي تمت وكانت ... ولأنها تجربة بشرية تمت في جو طبيعي فهي قابلة للتكرار والتطبيق .

وعلى الساعين للنجاح ، والمؤملين فيه أن يعيشوا تجارب السابقين ليستمدوا منها التحمل ، ويعلموا أنهم سائرون في الطريق الصحيح ، المحقق للغايات المأمولة .

وأكثر التجارب تأثيراً ما عايشه الإنسان بنفسه ، لأن الماضى يعتبر تجربة عملية للحاضر والمستقبل ، وتتميز التجربة الذاتية بوضوح جوانبها ، وظهور إيجابياتها وسلبياتها ، ولذلك ينادى الإعلاميون والدعاة بالعودة إلى الذات من أجل أخذ دروسه والاستفادة فى عمل الحاضر بسوابق الماضى ، والتخطيط للمستقبل بمصابيح التاريخ .

ومن فوائد علم التاريخ أنه يقدم من خلال الأحداث أسباب الفشل ، وعوامل النجاح ، ليتأسى بها من يراها ، ويتأملها .

إن التجربة تقبل التكرار ، والإعادة ، والتأمل فيها يؤدي إلى العبرة ، وأخذ الدروس .

وكثير من العظماء كتبوا قصة نجاحهم ، ودونوها يوماً بيوم ، وحادثة بحادثة ، حتى صارت طريقاً منيراً لمن فكر واستفاد ... ومدارستها عمل تربوي مفيد .

في مذكرات مصطفى كامل ، وسعد زغلول دروس في الوطنية تؤدي إلى ضرورة التضحية من أجل الحرية ، وتحقيق الاستقلال للوطن .

وفي ذكريات الأستاذ/ حسن البنا ، والأستاذ/ البهي الخولي ، والأستاذ محمد عبده ، والأستاذ محمد رشيد رضا ... وقفات توضح طريق نجاح الدعاة ، وتهيئة النفوس للعمل المخلص لله ورسوله وللمؤمنين .

وقد أورد القرآن الكريم قصصه الحق تصويراً للأحداث ، وأشخاصها ، ونتائجها ، لتكون دروساً وعبراً وكأنها تجارب صادقة معلومة ... **يقول الله ﷻ :**

- ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]
- ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ ﴾[٢]
- ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[٣] .

ومن مزايا قصص القرآن الكريم أنه يوضح الطريق المستقيم للنجاح في الدنيا والآخرة ، ويبين كذلك طريق الخسران والضياع في الدنيا والآخرة .

والرسل عليهم السلام هم قدوة الخلق على الزمن كله ، بما ركز فيهم من صفات نفسية ، وعقلية ، وخلقية ، وسلوكية ارتضاها لهم ﷻ ، واختارهم بها لرسالته .. **يقول الله ﷻ :**

- ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٧٦ .

(٢) سورة يوسف ، آية ١١١ .

(٣) سورة هود ، آية ١٢٠ .

(٤) سورة الحج ، آية ٧٥ .

- ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[١] .

- ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[٢] .

ولعل من أفضل التجارب التي يحسن الرجوع إليها تجارب السلف الصالح ، وعلى رأسهم الصحابة الأجلاء ، فقد نهلوا من نور النبوة ، وعاشوا روح الإسلام الحنيف ، والتزموا بالحلال المشروع ، وابتعدوا عن كل ما نهى الله ورسوله عنه ، فلنتأسى بهم.

ومن فقه المالكية أن عمل أهل المدينة من صحابة رسول الله ﷺ شرع يهتدي به من بعدهم ، ويسيرون على منواله .

وعلى الآباء والمربين أن يساعدوا أبناءهم في اختيار تجارب الإنسان الصالح ، لأنها خير معين على الخير والصلاح ... ولتكن هذه المساعدة في وقت مبكر قبل أن يخطئ الصغير ، وهو يختار لنفسه ، أو ينبهر بالهوى وهو لا يدرى .

وتتم هذه المساعدة بالحكاية ، والقراءة ، والسياحة ، وإعادة الذكريات ، والمشاركة فى الرؤى ، والتأمل في كل ما ورد عن العظماء من أحداث .

---

(١) سورة القصص ، آية ٦٨ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٩٠ .

وليس هناك ما يمنع أن يؤسس الوالد لولده مكتبة مناسبة تضم مذكرات العظماء ، وسير أحداث التاريخ ، ويشاركه القراءة وفهم الأحداث ، ومناقشتها معه في جلسات ودية ، خلال الرحلات ، وفي أوقات الراحة .

ومن الأفضل أن يكون الوالد هو الصديق الأول لولده ، يصاحبه ، ويصارحه ، ويتعاون معه ، ويقدم له ما يتمنى أن يستفيد منه .

أعرف بعض الآباء الذين صاحبوا أبنائهم ، وزملاء أبنائهم ليطمئنوا بأنفسهم على سلامة المسلك المتبع ، واستمروا في هذه الصحبة حتى نالوا ثقة هؤلاء الصغار ، وصاروا محل شورى الجميع ، وساهموا في إيجابية واضحة في توجيه الأبناء إلى الخير ، وهذه تجربة نتمنى لها أن تسود .

والحمد لله فقد قمت بوضع أبنائى منذ صغرهم فى مهب التجربة الذاتية ، ودفعتهم منذ صغرهم إلى التعامل مع الناس ، وكنت أوصيهم بأن يعملوا كما يعمل الآخرون ، وأضعهم أمام صور الخير والشر بأشخاصها ونتائجها ، ليتخيروا لأنفسهم ويتحركوا وأنا أراقبهم ، وأصحح نظرتهم ، وقد استفادوا بهذه التربية العملية ، القائمة

على خلق الثقة ، والأخذ من الغبر .

إن التربية بالتجربة ، وزرع حب العمل الهادف ، والاستفادة

بأعمال الغير أمور مفيدة ، ونافعة .

يمكن ربط الشباب برواد الخير في بيئتهم ، مثل إمام المسجد أو بعض الصالحين في النادي ، والمراكز الثقافية ، وبذلك يعيش الإنسان تجارب الآخرين بصورة تلقائية ، وعملية .

وإذا ما تعود الصغير الاستفادة من التجارب الناجحة شب على هذه العادة ، وصارت عودته إلى التجارب السابقة منهجاً ، وأسلوبا ... وكلما امتد به العمر تعمق فى التجارب التى يعود إليها

إن أحداث القصص القرآنى تجارب صادقة .

ووقائع التاريخ أحداث تتكرر وتفيد ...

وسير العظماء والعباقرة أمثلة وقدوة .

وحياة الصالحين منهج لمن يرجو الله واليوم الآخر .

وهكذا ...

تصير التجارب النبيلة المنضبطة بضوابط الدين ، والخلق مصباحاً يضئ الطريق للسالكين .

أيها الإنسان :

- ♣ النجاح يأتي لمن يستحقه ، والعظمة كفؤها العظماء .
- ♣ استفد من تجارب الآخرين لما فيها من دروس ، وعبر .
- ♣ اتخذ من العظماء أسوة وقدوة لتكون مثلهم .
- ♣ التاريخ يعيد نفسه، فخذ النتيجة الرائعة ، ولا تكرر التجربة فهي شاقة

- ♣ احذر تجارب الهوى ، ومداخلات الشياطين .
- ♣ تجارب السوء مرض فانتبه ، ولا تغتر بمن يحملها .
- ♣ العظمة تقاس بقيم الخير ، لا بالمظاهر الكاذبة .
- ♣ غص عمق الحقيقة ، وتأمل لتعرف الإنسان بحقيقته .
- ♣ الدنيا هى دار العمل ، فتحرك بيقظة وانتباه .
- ♣ استشر من هو أكبر ،ـ وأـعلم منك فى المتجاربـ المتى أعجبت بها .
- ♣ سجل عوامل النجاح وأسباب الفشل لتصبح منارة لك .
- ♣ قد كان لكم فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة .
- ♣ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه .

(١٤٣)

العامل السابع

تزود بالمعرفة وتعلّم

العلم مصباح ينير الظلمات ، ويوسع المدارك ، وينمي العقل ويفتح آفاق الحياة أمام صاحبه .

وعقل الإنسان طلعة يحب معرفة الجديد والمفيد ، ولذلك احتاج الإنسان وهو في سعي الحياة أن يواصل الدرس ، والتعلم طوال عمره ، لأن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة ، وليس لها نهاية .

يتوقف سعي الإنسان عند نقطة يتخيلها النهاية ، فيأتيه العلم بحل جديد ، فتتحول هذه النهاية إلى بداية جديدة .

يحتاج التعلم من صاحبه أن يجوب في العلوم النافعة والجديدة ، وبخاصة في المجال الذي يحتاجه .

إن العلم بمختلف صوره مفيد ، فهو يقدم النماذج الناجحة ، ويقدم حلول القضايا التي نعيشها ، ويبرز كل جديد في عالم الناس .

لو وقف الإنسان بمعلوماته عند النقطة الأولى لأصابه التخلف ، وعاش مع الماضي ... ولذلك كان أهمية العلم ليفسح الطريق ، ويعرف بالجديد .

أنظر إلى العالم من حولك ترى كل يوم جديداً في كل ناحية تأكد أن العلم هو الوسيلة الوحيدة للاستفادة من هذا الجديد .

ولنأخذ درساً في أهمية الاستفادة بكل جديد من موقف المسلمين مع القرآن الكريم ، فلقد حفظوه من رسول الله ﷺ ، وكتبوه على الألواح ، والجلد ، والعسب وغيرها ، وجمعوه في مكان واحد ، واستفادوا بكل جديد فكتبوه في مجلد واحد ، وسجلوه على الاسطوانات ، وخصصوا له القراء ، والمحطات الفضائية ، والإذاعات ليحافظوا على كلام الله تعالى بكل صورة ممكنة مستفيدين بمستجدات العلم ، واختراعات الناس .

لو لم يتجه المفكرون إلى البحث والتعلم لماتت الدنيا من زمن بعيد ، لكن الله تعالى هدى العلماء للعلم ، فظهرت المبتكرات في الميادين الطبية ، والفلكية وفي كافة جوانب الحياة فخذ من ذلك عبرة وتعلم ، وعساك أن تصل إلى جديد تفيد به الآخرين ، وتحقق هدفك .

العلم خير مساعد في الطريق ، وخير معين لصاحبه ، إنه الصديق الذي لا يخفي شيئاً ، ولا يغيب إذا أراده صاحبه ، ولا يكتم عن طالبه سرّاً أبدا .

فلتكن حياتنا مجالاً للتعلم ، وليكن شعارك أيها الإنسان " **لا بارك الله في يوم لم أزدد فيه علما** " .

إن المعرفة الجيدة أسبق عند الله من العمل المضطرب ، ومن العبادة المليئة بالجهل والقصور .

قال رسول الله ﷺ : " **قليل العلم خير من كثير العبادة ، وكفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه ، إنما الناس رجلان ، مؤمن ، وجاهل ، فلا تؤذوا المؤمن ، ولا تجاوروا الجاهل** "(١) .

وعن أبى جعفر محمد بن على قال : " **عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد** "(٢) .

والسر فى هذا الحكم أن عبادة الجهال . كصداقتهم . قليلة الجدوى ، وهم يضرون أنفسهم من حيث يريدون نفعها ، ويؤذون أصدقاءهم من حيث يبغون راحتهم ، وجهلة العباد يستمسكون بالدين استمساكاً شديداً ، ويتعصبون له تعصباً ظاهراً ، ولكنهم فى ساعة رعونة وغباء يقفون منه الموقف الذى يلحق به الأذى والمعرة ، ويجر عليه المتاعب الجمة ، أما أولو العلم فإن بصيرتهم الذكية تحكم مسلكهم وتلهمهم الرشد ، فلو قل عملهم كثر ما يصحبه من سداد وبصر .

---

(١) الطبرانى فى الأوسط ص٣٢٥ .

(٢) الحلية ج٣ ص١٨٣ .

وعن ابن عباس قال : **قال إبليس : لَعَالِمٍ واحد أشد على من ألف عابد ، إن العابد يعبد الله وحده ، إما العالم فإنه يعلم الناس حتى يكونوا علماء** "[١] .

ويقول ﷺ : " **فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلاً** "[٢] .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **فضل العالم على العابد سبعون درجة ، ما بين كل درجتين حضر (مسار) الفرس سبعين عاماً** "[٣] .

وإنما كان فضل العالم هكذا ، لأنه ضم إلى عبادته العلم فصار واعيا قانتا ، وأصبح داعية بعلمه ، وقدوة بعبادته ... إنه بالعلم أظهر قيمة العبادة ، وبالعبادة أبرز حقيقة الإنسان ، وسر وجوده.

إن العبادة تحتاج لدقة الفهم ، وعمق الإدراك ، لأن ضيق الأفق لا يدع للإيمان امتداداً ، ولا للإحسان منفذاً، قال الله ﷻ :﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾** ﴾[٤] .

إن الضمير الدافع إلى الخير ، الوازع عن الشر ، المراقب لله ، الحريص على مرضاته ، هو ضمير العالم المستنير الخبير بربه

---

(١) الحلية ج٩ ص٥٧ .
(٢) سنن الترمذى ـ أبواب العلم ج٤ ص٤١٦ .
(٣) الأغانى للأصفهانى ج٤ ص١٨٥.
(٤) العنكبوت ، الآية ٤٣ .

... العابد القانت . يقول الله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ ﴾[١] .

وإن العلم الذى يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علماً معيناً وليس علما محدود البداية والنهاية .

إنه كل علم يوسع مناحى النظر ، ويزيح الأوهام أمام العقل النهم إلى المزيد من العرفان .

إنه كل علم يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح له آماداً أبعد من الكشف والإدراك ، ويتيح له السيادة فى العالم ، والتحكم فى قواه ، والإفادة من ذخائره المكنونة .

ذلك كله علم ينبغى التطلع له ، والتضلع فيه ، ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه .

وهذا الشمول دلت عليه الآيات والسنن .

---

(١) الزمر ، الآية ٩ .

فأما الأحاديث المشيرة إلى التزود من المعارف أيا كانت فكثيرة ، منها قول رسول الله ﷺ : " **من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة .**

وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم .

وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء .

وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .

وإن العلماء ورثة الأنبياء .

وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما .

وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[١] .

وقال ﷺ : " **ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ! وما استقام دينه حتى يستقيم عمله !** "[٢] .

وقال ﷺ : " **لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق . ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها** "[٣] .

---

(١) سنن أبو دواد فى سننه ـ كتاب العلم . باب الحث على طلب العلم ج٤ ص٣٩ .

(٢) الطبرانى فى الأوسط ج٥ ص٧٩ .

(٣) صحيح البخارى ـ كتاب الزكاة . باب إنفاق المال ج٢ ص١٠٨ .

وقال ﷺ : " **إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة فى حجرها ، وحتى الحوت فى جوف البحر ، ليصلون على معلم الناس الخير** "[١] .

فالسياق فى هذه الأحاديث يوجه إلى طلب أى علم : يعلم الخير والحكمة ، ويقى من الضرر ، ويقرب من النفع .

وتخصيص العلم بلون معين من الثقافة كتخصيص المال بنوع معين من الأملاك. لا. وجه له .. ولا. شك أن. فى طليعة ما تجب معرفته حق الله على الناس ، وحق الناس بعضهم على بعض . فإن. هداية المسلوك. إلى المصالح المعام. كبيرة الأثر فى تنظيم الجماعات ، وتوجيه السياسات .

لكن من المخطأ أن. نظن المعلم المحمود. هو دراسة المفقه والتفسير وما شابه ذلك من الفنون فحسب . وأما ما وراءها فهو نافلة يؤديها من شاء تطوعاً أو يتركها وليس عليه من حرج ...!!

هذا. خطأ كبير ،. فإن. علوم. الكون. وللحياة ،. ونتائج البحث المتواصل فى ملكوت السماء والأرض لا تقل خطراً عن علوم الدين المحضة ،. بل قد يرتبط بها من النتائج ما يجعل معرفتها أولى بالتقديم من الاستبحار فى علوم الشريعة .

وحسبنا أن القرآن الكريم عندما نوه بفضل العلم وجلال العلماء إنما عنى العلماء الذين يعرفون عظمة الخالق ، وإنما عنى العلم

---

(١) الطبرانى فى الأوسط ج٥ ص٨٠ .

المذى ينشأ من المنظر فى المنبات ، وللحيوان ، وشئون المطبيعة الأخرى .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] .

إن علوم الحياة مساوية لعلوم الآخرة فى خدمة الدين ، وتجلية حقائقه ، غاية ما هنالك أن علوم الطبيعة تحتاج دراسات أطول . أما العلم بالدين فميسور لمن أخلص له أياماً معدودات . وإذا كان التوسع فى فروع الشريعة يحتاج مدداً فسيحة . فهذا التوسع وظيفة اجتماعية كسائر الوظائف التى تستكثر منها الدولة أو تستقل وفق المصلحة التى تنجح رسالتها العليا ، وليست دراسة الحقوق والقضاء أشرف فى ذاتها من دراسة الطب مثلاً . ولو بلغ صاحبها

---

(١) سورة فاطر ، الآيات ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) سورة الروم ، الآية ٢٢ .

مبلغ أبى حنيفة ، وإنما يرجح الرجل صاحبه فى علمه بمقدار ما يسخر هذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله ، وانتظار ما لديه من مثوبة ...

إن المحاجز رقيق جداً بين ما هو دين محض ، وما هو دنيا محضة ، والمرجح هو سلامة القصد ونبل الغاية ، فالشئ الواحد قد يكون فاحشة كبيرة بما يلابسه من هوى وقد يكون جهاداً مبروراً بما يصاحبه من إخلاص[١] .

أخى أيها الإنسان :

تأكد من الحقائق التالية :

♣ طلب العلم يستمر من المهد إلى اللحد .

♣ طلب العلم فريضة ولو في الصين مع بعدها .

تعلم فليس المرء يولد عالماً

وليس أخو علم كمن هو جاهل

كبير القوم لا علم عنده

صغير وإن تلاقته المحافل

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم

لم يبن ملك على جهل وإقلال

♣ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

♣ إنما يخشى الله من عباده العلماء .

---

(١) فقه السيرة بتصرف .

♣ العلماء ورثة الأنبياء .

♣ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .

♣ كفى العلم فخراً أن يدعيه من لا يملكه .

♣ العالم ربان فاهم يعرف متى يتحرك ، وكيف يتصرف مع الأنواء والأعاصير .

♣ الحركة بلا علم تخبط وجمود .

(١٥٣)

العامل الثامن

الآخرون لهم حقوق مثلك فحافظ عليها

الإنسان مدني بطبعه ، يعيش مع الآخرين يعطيهم ، ويأخذ منهم ، ولا يمكن تصور إنسان ما عاش وحيداً منعزلاً .

يحتاج الإنسان في طعامه ، وشرابه ، وملبسه ، وسائر نشاطه إلى غيره ، وغيره يحتاج إليه في مهنته ، وعلمه ، وفكره ... وبهذه الصورة تستمر الحياة ويحدث التقدم ، ويكون العمران .

لو ولد طفل وعاش وحده لما نطق بكلمة ، ولما تعود سلوكاً بشرياً ، ولذلك اقتضت حكمة الله ﷻ أن ينشأ الوليد في بيئة إنسانية حانية ، تعطي بحب ، وتنشئ برغبة ، وتيسر الطريق الإنساني أمام هذا الوافد الجديد .

يتعلم الطفل منذ صغره ضرورة العيش مع أقرانه ، يلاعبهم ويداعبهم ، ويسلوا بهم ومعهم .

ومن هنا نشأت المساواة البشرية في صورها الإيجابية بصورة تلقائية ، بعيداً عن عنصرية اللون ، أو الدين ، أو المهنة أو المال ، أو أي شيء آخر .. ويجب أن تستمر هذه المساواة في براءتها ، ونظافتها ، وخيريتها .

إذا شبَّ الصغير ، وعاش مسئوليات الحياة ، تبدأ نزعات النفس ، وهواجس الشياطين ، ومردة البشر في صنع فروق بين الناس تؤدي إلى حب الذات ، والمغالاة في الأنانية ، والحرص على الأنا دون التفات إلى ما وراء ذلك ، الأمر الذي يؤدي إلى الخصومة ، والعداوة ، وفقد الأمان ، والصراع السيء بين الناس .

أنت أيها الإنسان لك حقوق يجب أن تعرفها ، وتحافظ عليها ولا تسمح لغيرك بالتعدي عليها ... وفي نفس الوقت تذكر أيها الإنسان أن الآخرين بشر مثلك ، لهم حقوق يحرصون عليها مثلك فساعدهم على حرصهم ، وحافظ من قلبك عليها ، ومن الآثار الدالة على هذا الواجب :

- **عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به .**
- **وما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .**

إن أي إنسان يسعد بحب الآخرين له ، والتفافهم حوله ، ومشاركتهم إياه في الأفراح والأتراح ، ولا يتأتى له ذلك إلا بكسب ودّ الآخرين ، والفوز بثقتهم ، ورضاهم ... والطريق الوحيد لذلك هو المحافظة على حقوقهم ، والقيام بالواجب لهم .

ومن حقائق الحياة أن الحقوق تصاحب الواجبات ، والمسئولية معها الحساب والجزاء ، والعاقل هو الذى يحرص على ما هو له ، ويترك ما هو لغيره ، وليكن عاملاً فى تعامله مع الناس . **وليتذكر:**

- قول النبى ﷺ : " **المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** "[١] .
- وقوله ﷺ : " **المسلمون تتكافأ دماءهم ، ويسقى بذمتهم أدناهم** "[٢] .

فأنتبه أيها المسلم وعش الحياة بإيجابياتها العادلة ، ولا تكن أنانياً حتى لا تنعزل .

أعلم أناساً انعزلوا عن الناس فابتعد الناس عنهم ، ولم يشاركوهم مناسباتهم ، وكان لذلك أثره عليهم ، جعلهم يغيرون مسلكهم ، فأخذوا يختلطون بالناس ، ويحافظون على حقوقهم ، حتى انعكس الحال ، واختلط الناس بهم .

إن الإنسان يقوده عقله المفكر ، وقراراته دائماً تدور حول مصالحه ومطالبه ، ولذلك كان على الإنسان أن يرى الناس كما يرى ذاته ، ويعمل معهم ما يتمناه منهم ، وليكن هو المبادئ بالفضل فالمعروف لا يضيع .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المظالم .. باب لا يظلم المسلم المسلم ج٣ ص١٢٨ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب الجهاد ج٣ ص١٢٥ .

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه

فلا يضيع جميل أينما وضع

شرع الإسلام السلام ، وجعله تحية الإنسان لأخيه ، ليشعره بالأمان ، والود ، والأخوة ، ولأجل أن يبادر الجميع بالسلام جعل الله ﷻ إلقاءه سنّة ، ورده فريضة ، ليتسابق الكل في التحية ، واحترام الآخر .

وشرع الإسلام للسلام آدابه ، وألفاظه ليقوم الجميع به في كافة الحالات ، صغاراً وكبارا ، راجلين وركبانا ، ومشاة وجالسين .

وللحقوق تختلف باختلاف الإنسان ، فهناك حقوق الراعي وحقوق الرعية ، وحقوق الآباء والأبناء ، وحقوق الزوج والزوجة ، وحقوق الأقارب ، وحقوق المسلمين ، وحقوق غيرهم فتعرف على حقوق غيرك وأنت تتعامل معه ، وحافظ عليه ...

وإذا فكرت في أمر لصاحبك ففكر فيه لنفسك فإن قبلته لنفسك اعمله لصاحبك ، وإن لا فدعه .

عن أبى أمامة قال : إن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال : **يا رسول الله ائذن لى بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه .**

وقالوا : مه مه .

فقال ﷺ : أدنه ... فدنا منه قريباً .

فجلس بين يديه ، وقال له ﷺ : أتحبه لأمك .

قال الفتى : لا والله جعلنى الله فداءك .

قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .

ثم قاله له ﷺ : أفتحبه لابنتك .

قال الفتى : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك .

قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

قال ﷺ : أفتحبه لأختك .

قال الفتى : لا والله جعلنى الله فداءك .

قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لأخواتهم .

قال ﷺ : أفتحبه لعمتك .

قال الفتى : لا والله جعلنى الله فداءك .

قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لعماتهم .

قال ﷺ : أفتحبه لخالتك .

قال الفتى : لا والله جعلنى الله فداءك .

قال ﷺ : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

فوضع ﷺ يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ "[1] .

حافظ **. أيها الإنسان .** على حقوق الآخرين ، واحتسب فيه طاعة الله ﷻ يسخر الله لك من يحافظ عليك ، وينقذك من غدر لئيم ، وعدوان حاقد .

إن واحة الحب واسعة ، ورياحينها نضرة ، والعيش خلالها

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٢٥٦ والحديث صحيح .

سعادة ورضى ، ومتعتها تعم الجسد والقلب معاً ... فكن أيها الإنسان أحد ساكني هذه الواحة ، وجرب الطريق إليها بالمحافظة على حقوق الآخرين ، واحرص على فعل ما يحبه غيرك قبل أن تفاجأ من الغير بأفعال لا تحبها منه .

لسانك لا تجرح به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن

واعلم أن أولى الحقوق عليك هو حق الله تعالى ، الذي هو التعبد المطلق له ، والخوف التام منه ، والحب الصادق لذاته ، والتقوى هي جماع حق الله ﷻ :

- ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾[١] .
- ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾[٢] .

وإذا صدقت أيها الإنسان في تقوى الله تعالى ستجد هذا في علاقتك بالناس- لأن- حب الله- يعني الاستقامة -، والعدل- ، والإخلاص ، والصدق ، والأمانة ، والالتزام بالواجب .

إن- العظماء- ، والعباقرة -، والرواد- يبذلون- جهدهم لإرضاء الآخرين ، يحفظون حقوقهم ، ويرعون مصالحهم ، ويكونون في خدمتهم من غير انتظار مقابل منهم ، ولذلك يبقى ذكرهم ، وتخلد آثارهم في الأجيال من بعدهم .

---

(١) سورة الطلاق ، آية ٢ .
(٢) سورة الطلاق ، آية ٥ .

سئل زعيم رومانى :. ما أفضل الأعمال. التى تتمناها من الجمهور قال : أن يحيطونى بالحب .

فقيل له : أبذل من نفسك لهم ما يجعلهم يلتفون حولك .

وهناك من الناس من يعيش لنفسه ، ويعمل لذويه ، ويعتدي على الحقوق ، ولا يهتم بحاجات الآخرين ، وهؤلاء لا يذكرهم الناس ، وإذا ماتوا ماتت سيرتهم ، ولا تبقى إلا ذكريات السوء ، والآلام .

هناك نفر من الناس تضعهم المقادير فى مقام كبير ، فيتصورون أنفسهم فى المنزلة التى يستحقونها ، ويستبدون ، ويظلمون ، ولا يعملون إلا لأنفسهم ، وذويهم ... وبذلك يفقدون الحب والتقدير ، ولا يجدون حولهم إلا المنافقين ، ولن يرحمهم التاريخ ، وستلحق بهم لعنة الله العادل الرحيم .

إنه ليسرنى الآن أن كثيراً من زملائى فى كلية الدعوة وغيرها يتحدثون معى عما فعلته معهم من خير يوم توليت شئونهم ، حيث لم أقصر في واجب لهم ، وكنت أقدم من جهدي ، ومالي ، وأُمْلي ما يحفز هممهم ، ويحيي فيهم حب الحق ، والالتزام بالواجب .

إنهم يذكروننى بما قدمت ، وبرغم بعد زمن الأحداث ، ونسيانى لها إلا أنها بقيت فى قلوب المحبين .

إنى أعاود ذكرياتى منذ الطفولة فأرى صورة من قدم لى جميلاً عالية ، باسقة ، وأنظر إلى من أهملنى ، وأساء إلى نظرة هواء وسوء .

أخي أيها الإنسان : نظرات من حولك إليك ، وتقديرهم لمواقفك ، واهتمامهم بك خير دليل على صواب ما تقوم به ، واعلم أن الرجل يدخل الجنة بشهادة جيران له ، وارتياد المساجد دليل الإيمان .

أخي تذكر هذه الحقائق :

- يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾[1] .
- المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .
- أن العمل السليم نتاج القرار السليم ، والقرار السليم نتيجة الفهم السليم
- الحقوق والواجبات أمران متلازمان لك ، وللناس .

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ ، ١٠ .

- ♣ عمل الإنسان مدون ، والمحاسبة على حقيقته لا على صورته الظاهرة .
- ♣ محبة الإنسان لأخيه تبدأ من القلب ، فاحرص على كسب ودّ قلب أخيك .
- ♣ مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد يشعر كل بشعور الآخر[١] .
- ♣ الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .
- ♣ تقول السيدة خديجة . رض الله عنها . لزوجها رسول الله ﷺ : والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك اتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر[٢] .
- ♣ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .
- ♣ الناس بخير ما تعاونوا .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الأدب ج٨ ص١٠ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب التعبير . باب بدء الوحى ج٩ ص٢٩ .

(١٦٢)

العامل التاسع

كن شمعة تضئ للناس

تتوزع مناشط الحياة ، ويتوزع الناس إلى شعب شتى ، وبذلك تتعدد توجهاتهم ، وأعمالهم ، وكثيراً ما يبتعد بهم الهوى عن الحق والصواب .

والخير والشرّ موجودان في الأرض منذ أن خلق الله الناس وكأن ما حدث بين هابيل وقابيل عنوان على مسار أبناء آدم عليه السلام في حياتهم إلى يوم القيامة ، حيث الشرّ وجنوده ، والخير وأتباعه الصالحون .

فنشاط إبليس وجنوده ، وأتباعه حاضر ظاهر، ودعوة الأنبياء والصالحين معروفة مكررة ، والكل يسعى سعيه ، ويعيش قدره ، ويبذل طاقته وقدرته ... والله سبحانه وتعالى من ورائهم محيط .

ويتفاوت الناس في طاقاتهم ، وقدراتهم ، ففيهم العبقري النابهة ، وفيهم الخامل الكسول ، ومنهم من آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ، ومنهم العاجز المحتاج لنصائح غيره وقيادته .

ولم يترك الله عز وجل الناس لعقولهم ، بل وجه العقول للخير ، ودعا الناس إلى الصواب ، ووجه المسلمين إلى الاهتمام بكل مجالات الحياة لتحقيق مصالح الناس .

والمسلم أمام هذه الحقائق مسئول مسئولية دينية ، وإنسانية ، وعليه أن ينير طريق الناس ، ويدعوهم للتي هي أقوم ، ويتحول بفضل الله تعالى إلى منارة هادية ، وسراج منير .

تحتم المسئولية الدينية على المسلم أن يكون لغيره مصدر نفع ، وتقدم ... فهو مسئول عن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،- يقول- ﷻ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١] .

ويقول سبحانه ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] .

وهو مسئول عن توجيه النصح لأخيه .

يقول ﷺ : **الدين النصيحة .**

قلنا : **يا رسول الله لمن ؟**

قال ﷺ : **لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولخاصة المسلمين وعامتهم**[٣] .

ويقول ﷺ : **أنصر أخاك ظالماً أو مظلوما .**

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان . باب الدين النصيحة ج١ ص٥٣ .

فقالوا : **يا رسول الله ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالما ؟**

قال ﷺ : **أن تأخذوا على يده**[١] .

والمسلم مسئول عن إعانة الضعيف ، ورعاية المحتاج ، وإكرام الكبير ، وإغاثة الملهوف ، وإقراء الضيف ، والسعي الدائم في سبيل الله تعالى ، وتحقيق المصلحة العامة .

إن المسئولية الدينية تحتم على ذي الرأي الفاهم لدينه أن يكون مصدر خير دائم للناس ، لأنها تمايز بين الناس على أساس عطائهم ، وتقواهم لله رب العالمين .

لو واظب إنسان على الخير يقيمه لنفسه ، ويحققه للناس لأتاه الناس من كل مكان ، ولو أقام في البوادي بعيداً عن الخلق أجمعين .

في حياتنا الدراسية اشتهر بعض الأساتذة بمساعدة طلبتهم بالدرس ، والتوجيه ، وحل المشاكل .. ولذلك كان مسكنهم مأوى يقصده الطلاب من كل التخصصات ، طلباً للنور الذي طلّ عليهم شعاعه ، وأعرف آخرين كانوا يضنون على طلبتهم في العطاء ، فهجرهم الطلبة ، وما رجوا فيهم فائدة .

أيها الأخ الكريم :

إن الإنسانية تحتم عليك أن تساعد الناس فهم إخوتك ، وكلكم

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المظالم . باب أنصر أخاك ج٣ ص١٢٨ .

لآدم ... وما دام الله قد رفع شأنك ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، فلا تبخل على الناس بكل ما تستطيع من عطاء مادي ، أو معنوي .

كن نوراً للناس قبل انطفاء الأنوار ، واعلم أن دوام الحال من المحال، فما تعطيه اليوم قد تحتاج لمثله غداً ، فقدم اليوم ما سوف تجده غداً ، لتجده نامي الحجم ، واسع النضج ، فعملك لن يضيع ، والخير موصول إلى يوم القيامة .

وحتى يسهل عطاؤك ، وتقوى تضحياتك ، ويتحول الأمر إلى حالة يسعدك أداؤها ، وتتمنى الزيادة فيها ، قم بفحصها في عقلك أولاً ، وناقشها في نفسك ، ومتن رضاك عنها ، وحدد التضحيات التي ستبذلها ، وبعد قناعتك الذاتية واظب على قناعتك أمام الناس واستمر في العطاء .. وتجنب كل ما يثبط همتك ، **واعلم أن من يحارب الخير فيك هم أقرب الناس إليك ، خوفاً عليك ، أو حسداً فيك ، أو لفساد تصوراتهم ، وسيستعملون في حربهم معك السخرية ، والقول بانعدام الفائدة ، وأهمية الانكفاء على الذات .**

كنت دائم العطاء المادي ، والتوسع في الإنفاق ، وكان البعض يتصورها سفهاً مني ، لكن عطاء الله وسعة رزقه لي أسكت كل من تصورني سفيهاً ، وقال بعضهم : لو كنا نعلم أن نتيجة العطاء هكذا لبذلنا كل ما نملك .

اسأل نفسك أيهما خير : أن تكون فرداً منعزلاً ، أم رائداً يقصدك الآخرون ؟ ولا تهتم بالمستقبل فهو بيد الله ، ولربما خبأ لك القدر الإلهي ما لم تكن تتصوره من مال وسلطان .

في نشأتي كان الجميع يعتمد على الواسطة والمحسوبية لينال الجاه ، ويأتيه المال ... ولكنَّ الواقع الذي عشته أكد أن سبل عطاء الله ﷻ لا حصر لها فهو يعطي من يشاء ، بما يشاء ، كيفما شاء ، وقتما يشاء .

في تصوري أن من يمكنه الله ﷻ من الريادة ، والعطاء ، يعيش راضياً عن نفسه، مقراً بفضل الله ﷻ ، شاكراً على عطاء الله الذي مكنه مما هو فيه .

والذين يمتد بهم العمر من الصالحين يشعرون بما في عطاء الله ﷻ من فضل ، وخير كبير .

لو انعدمت طائفة الخير في الناس لشحب وجه الحياة ، ولرأى الناس الدنيا كئيبة كالحة ، ولكن شاءت إرادة الله أن يبقي الخير في الناس إلى يوم القيامة .

سيبقى في الناس من يدفع ماله لمحتاج أو مريض ، ومن سيصرفه في إقامة دار للعبادة ، أو مدرسة للتعليم ، أو مستشفى للعلاج .

سيبقى في الناس من سيتعب لراحة غيره ، ومن سيشقى ليسعد سواه، ومن سيقدم على الموت ليصون حرية البلاد والعباد.

وسيبقى فى الناس من يقول كلمة الخير ، ويدعو الناس إلى الصراط المستقيم .

وسيبقى فى الناس من يملأ قلبه بالحب والمودة .

وسيبقى فى الناس صاحب الخلق الطيب ، والطبع المستقيم .

وسيبقى فى الناس من يتألم لأنات المظلومين ، وينفعل ضد جبروت الطغاة ...

وسبيقى فى الناس من يقدم روحه إنقاذاً للحق ، ودفاعاً عن الحرمات ، ولن يسكت دعاة الشرّ عن محاربة كتيبة الخير بأساليب الدهاء والخداع ... وسيتهمونهم بالسفه لتضييع المال ، وبالجنون ، لأنهم يفقدون الحياة وبالضعف لكثرة عفوهم وتسامحهم ، وبالدونية لأنهم لا يثأرون لأنفسهم ويتركون الأمر لله ولسوف يستعينون في حربهم بشهوات النفس ، ومادية الدوافع ، ويجاهرون بأكاذيبهم ، وخداعهم ، بلا خجل ولا حياء .

سيبقى من الناس من يشغلهم السعي في مصالح الآخرين ، ومن يقصدهم الناس وقت الشدّة والحاجة .

أعرف في قريتي أناساً بارك الله لهم ، وأعانهم على خدمة الضعفاء ، يذهبون مع المرضى إلى الطبيب ، ومع أقضية الناس إلى القضاء ، ومع مشاكلهم إلى مراكز البوليس ، ودواوين الحكومة ... وكنت أرى هؤلاء الضعفاء خير جنود لهؤلاء الرواد حين الحاجة إليهم ... فقلت لنفسي : **وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان** .

على من رزقه الله ﷻ الهمة القوية ، ووضعه في مكان الريادة الخيرة أن يستمر على قناعته ، ويداوم على عطائه ، وليعلم أن المسيل حرب. للمكان. المعالي ،. وأن. المرفعة تقوم. على المتضحية ، والرجولة تحتاج للصلابة ، والمكارم تنقص المال ، والسيادة تحتاج إلى الصبر والتحمل فـ :

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والإقدام قتال

ا.علم **أيها ا.لخيِّر النَّبيل** أن. المفئران. تختفي في جحورها ، والثعابين تخاف من المطر ، والهرة تهرب إذا أحست بالخطر ... أما الفرس فإنه يناطح السهام ، والأسد ينادي للنزال ، والمقدام لا يخاف الوغى ، والجسور يرفع رايته للقتال ، والمسلم يحمى دينه وينادي :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً

على أي جنب كان في الله مصرعي

والحمد لله أن جعلني مصدر عطاء لغيري ، وموئل النصح لمن قصدني ، وأساس نفع للكثير **(وإن أنكره الأقربون)** .

والحمد لله فلقد عاشرت أشتاتاً من الناس بالخلق الطيب الجميل ، لم أتكبر على صغير ، ولم أتعال على فقير ، ولم يشعر أحد عاشرته أني أفوقه في شيء أكبره به سوى فضل الله تعالى .

واعترف هنا أن مشاكلى الخاصة كانت فوق طاقتى ، وقد وجدت نفسى إزاءها أتعامل بعصبية ، ولم يكن رد الفعل عندى عادياً ... مع أن حياتى العامة ليست كذلك أبداً ... أرجو أن يكون لى عذر ليغفر الله لى .

أسأل الله تعالى أن يقوي عزيمتي لأستمر فيما أنا فيه ، وأن ينسيني غدر الناس حتى لا أتقاعس عن العمل ، أو أضعف في الطريق ، وأن ينشط همتي حتى لا أهتم بخدع الأقارب ، ولؤم الأصحاب .

اللهم إني فقير فأعطني

اللهم إني ضعيف فقوني

اللهم إني محدود فأنر بصيرتي

اللهم سدّد خطاي ، وقوِ ممشاي ، وحببني عند الناس وارحمنى ، واغفر لي ، وتب عليّ ، فأنت رب العالمين

وأنت ربي ، اللهم احشرنى عندك في زمرة الصالحين

اللهم لا تدع لى ذنباً إلا غفرته ، ولا عيباً إلا سترته ، ولا حاجة إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين .

أيها الأخ الكريم :

- ♣ كن نوراً يضيء الطريق للآخرين .
- ♣ كن لغيرك يكن غيرك لك .

- ♣ العظمة لها رجالها ، فكن عظيماً لتسود .
- ♣ ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط .
- ♣ الله هو المعطي ، فكن عبداً شكوراً بطاعته ليدوم عطاؤك برحمته .
- ♣ المؤمن خير كله فى قوله ، وقلبه ، وعمله ، وسلوكه .

العامل العاشر

حافظ على كيانك فأنت إنسان

لم يخلق الإنسان عقلاً فقط ، ولا روحاً ، وإنما خلقه الله مكوناً من الجسد ، والعقل، والعواطف، يكمل بعضها بعضاً، ويرتبط كل منهما بالعناصر الأخرى

وشرع الله ﷻ للإنسان إشباع عناصره كلها بطريقة سلسة ، ومتزنة ، بحيث لا يطغى عنصر على غيره ، ولا يتميز جانب دون سواه .

- قال الله ﷻ : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾[١] .
- ويقول سبحانه ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٣١ .

(٢) سورة النحل ، آية ٥ .

- وحين كان آدم عليه السلام في الجنة عرفه الله ﷻ بضمان حقوق بدنه حين قال ﷻ ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ** ﴾[١] .
- ويقول النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه : " **يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل** " .

قلت : بلى يا رسول الله .

قال : " فلا تفعل ، صم ، وأفطر ، وقم ، ونم ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً "[٢] .

وكما شرع الله ﷻ طرق إشباع البدن شرع طرق حماية العقل ، فخاطبه ، ودعاه إلى التفكير ، والنظر ، والتأمل ، والتعلم وحثه على قيادة صاحبه إلى الخير ، وحرم عليه عمل كل ما يضره من سكر ، أو سفه ، أو عدوان ..... وأباح له إشباع عواطفه ، وإرضاء دوافعه ، ورغباته ، بغير ما نهى الله عنه ... وبذلك يجد الإنسان نفسه أمام شرع الله ، وقد حافظ على عناصره جميعاً ليقوم بدوره في الحياة ، كياناً يتحرك ، وعقلاً يعي ويقرر ، ووجداناً يتودد ويرضى .

---

(١) سورة طه ، آية ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) صحيح البخارى ج٧ ص٣١ ـ كتاب النكاح . باب لزوجك عليك حقا .

ولا يمكن تصور إشباع جانب في الإنسان دون سواه ، لأن ذلك يبعد الإنسان عن دوره ومهمته ... ولأن إشباع البدن وحده بالطعام والشراب والشهوات يحول صاحبه إلى حيوان يتضخم حجمه ، وتقل أهميته ، ويصير وحشاً يضر ولا يفيد ، ويعمل بلا هدف ، ولا ضمير .

ولو تحول الإنسان لإشباع عقله وحده لفقد ذاته ، وعجز عن تحقيق مراده لأن العقل السليم يكون في الجسد السليم ، ولو هلك البدن لضاع العقل وانتهى .

وأما شهوات النفس وعواطفها فهي عالم واسع إن سيطرت على صاحبها حولته إلى شيطان يعتدي ، وإلى ظالم لا يهتم بالحقوق والحرمات .

جاء رجل إلى النبى ﷺ فرآه يقبل الحسن والحسين .

فقال له : **يا رسول إنى لى عشرة من الولد لا أقبل أحدهم .**

فانكر النبى ﷺ وقال له : **إنها رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم**[١] .

لابد أن يوازن الإنسان في إشباع كافة عناصره ، يعمل ويتحرك ، ويبيع ويشتري ، ويربح ويفوز لإشباع جانبه المادي .

ولابد له من القراءة ، والتفكير ، والتعقل ، والتصور للوصول إلى ما يرضيه من قرار إرضاء لعقله وروحه .

---

(١) فيض القدير ج٢ ص٥٧٢ .

ولابد له من ودّ وحبّ ، وغضب ورضى ، وإقبال وإدبار استجابة لوجدانه ، وعواطفه .

إن هذا التوازن ضرورة لتحقيق الإنسانية في الإنسان ...

ولذلك ننادي بصوت عال :

أيها الإنسان حافظ على كيانك :

- ♣ حافظ على كيانك لتقوم بدورك كإنسان .
- ♣ حافظ على كيانك لتسود بنشاطك العملي ، وطاقتك الفكرية ، وانطلاقتك الوجدانية .
- ♣ حافظ على كيانك لتتعامل مع كل العوالم من حولك مع البيئة التي تعيش فيها ، ومع الإنسان الذي تعامله ، ومع المودة والمحبة التي يجب أن تسود .
- ♣ حافظ على كيانك فقد شرع الله ﷻ لك كل ما يساعدك على هذا الحفظ
- ♣ واعلم أن الله ﷻ حين كتب العبادة عليك وزعها على ساعات قليلة في اليوم ، ووضعها في أيام معدودة من الشهر ، وحدد لها شهوراً في السنة ... ليكون لك في الزمن الباقي قسمة تتمتع فيها وتزدهر ... وتحقق ما تريد .
- ♣ واعلم أنه لا رهبانية في الإسلام .

- ♣ وأن طرق إرضاء الشهوات من النساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والأنعام ، والحرث ، واللهو ، واللعب محددة بأطر شرعية ، فارض نفسك وغرائزك ، وكن حذراً من التجاوز .
- ♣ لا تضر بدنك بالجوع ، والحرمان ، ولا تضر عقلك بإهمال نموه وغذائه ، ولا تضر عواطفك بالقسوة والجفاء ، لأن ذلك يضر ولا يفيد ، والتوازن في هذا المجال هو الطريق المستقيم .

أعرف أناساً غرتهم الأماني، وانساحوا في الشهوات بلا حدود ، واستمروا على ذلك حتى غرقوا، وانتهت بهم الحياة ، وخسروا أنفسهم، ولم يفيدوا أحداً .

وهناك أناس عاشوا للمال ، والسلطان ، بلا رقابة من الضمير ، وبلا خوف من الله ، فخرجوا من الدنيا ولا شيء لهم .

أما عظماء الناس فهم الذين عاشوا حقيقة الإنسان، وواقعية البشر، فكملوا أبدانهم وصانوا عقولهم، وسموا بعواطفهم ووجداناتهم ، فعلوا بذولتهم وفهمهم وخلد ذكرهم بين الناس ... وما السلف الصالح عن هذا الذكر بعيدون .

وإنه ليعجبني أزواج ملأوا حياتهم الزوجية بالأمل والسعادة فاشبعوا أبدانهم ، وأرضوا عقولهم ، وترابطوا بحب ، ومودة ، ورحمة ، وكان كل طرف سكناً ، وأماناً ، وحفظاً لشريكه ، ودائما

أقول لأبنائى : حافظوا على جمال الحياة ، وتمتعوا مع زوجاتكم وأزواجكم فى كل لحظة من عمركم ، واجعلوا أيامكم سعادة ، ورضى ، ومودة .... ولا سبيل لذلك إلا بترقية العواطف وتقدير العقل ، وتقوية البدن بما يحتاجه من إشباع مشروع ، وفى نفس الوقت يعيش من حرموا هذه القيم حياة القلق ، والسآمة والضيق ، والحزن ... **وأنا بذلك عارف** .

أيها الإنسان :

نظم حياتك ، وحافظ على إنسانيتك ، واحذر أن تكون كائنا ضخما لا عقل له ، ولا روح فيه ، وإياك أن تكون فظا غليظ القلب بلا عاطفة لديك ، وإياك أن تكون عاطفة هو جاء بلا عقل أو التزام ...

أيها الإنسان :

حسن بدنك ، وحافظ على عقلك ، ونم عواطفك ، وحبك .

أيها الإنسان . انتبه . واعلم :

- ♣ الأطر الشرعية هي خير الطرق للمحافظة على الذات .
- ♣ أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

- ♣ رضا العقل بالتفكير المنظم ، والوصول للقرار الصحيح ، ورضا النفس بالرضى ، والأمان ، ومحبة الناس .
- ♣ من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، فلا تضيع وقتك .
- ♣ السعادة أمل الجميع ، فكن عاملاً في إيجادها ، ولا تكن سبباً في القضاء عليها .
- ♣ راقب الله ﷻ في كل سعيك ، واحتسب نيتك له ﷻ .
- ♣ الإنسان يمشي برجلين ، ويتعامل بيدين ، فاستفد بكل شيء خلقه الله لك .
- ♣ المؤمن القوى خير ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

العامل الحادى عشر

تفاءل دائما
فأنت في مملكة الرحمن الرحيم

لله ملك السموات والأرض وما فيهن ...

وله ﷻ ما في السموات ، وما في الأرض ، وما بينهما ، وما تحت الثرى .

هذه حقيقة الوجود كله ، فأنت أيها الإنسان آلة صغيرة في هذا الكون العظيم ، ومع ذلك فأنت قائده بأمر مالكه ، وعليك أن تعمل بمنهج الذي كلفك ، وأعطاك ، وفضلك بالريادة والقيادة .

اجتهد ولا تكسل ، وأطع ربك ، ولستقم كما أمرت ، ولنشد المجد والعلا ، وتوكل على المالك العظيم ، وكن راضياً بما يحدث لك فهو قدر الله معك ، وفي المخلق أجمعين ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ

مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[١] .

واعلم ـ **أيها الإنسان** ـ أن طريق الأمل طويل ، والعمل خلاله شاق ، والعقبات كئود ، فلا تتأثر بما يقابلك من معوقات ، أو بما تلقاه من جحود ونكران ، وتأكد أن ما قدره الله لك سوف يأتيك ، ولأن الخلق جميعاً لو اجتمعوا أن يضروك ، أو ينفعوك ، ما استطاعوا إلا بما أراده الله ﷻ .

ومن هنا ... أقول لك : أدِّ ما عليك لله ، وتفاءل بكل ما يقع بعد ذلك ، ولا تجعل الخير يطغيك ، ولا تدع الشر يرديك .

إن حققت أملاً أشكر الله ﷻ ليبارك الله لك ، ويزيد . يقول الله تعالى ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[٢] ، ويقول سبحانه ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ ﴾[٣] .

وإن أصابك مكروه فتحمل يقول الله تعالى ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الأنعام ، من الآية ٥٩ : ٦١ .
(٢) سورة إبراهيم ، آية ٧ .
(٣) سورة النمل ، آية ٤٠ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢١٦ .

وإن وقعت في خطأ فاتركه تائباً يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[١] .

وإن نزل بك أمر فالجأ إلى خالقك لأنه ﷻ ﴿ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[٢] .

وإن رابك أمر فاستشر ربك ، واطلب خياره ، فهو عالم بالظاهر والباطن ، وهو علام الغيوب .

والحمد لله فقد عشت عناية الله بى ، وتسديده خطاياى وإحاطتى بالفضل الذى لم أكن أتصوره أبداً قبل حدوثه ، ورجائي دوام عطاء الله لي ، ولذريتي إلى يوم الدين .

كن **. أيها الإنسان .** في كل أحوالك متفائلا ، وتأكد بأنك تعيش في مملكة الرحمن الرحيم .

هل يتصور عاقل أن أماً تتعمد قتل رضيعها ، أو والداً يلقى بولده فى النار ليحترق **!!!**

إن هذا تصور مستحيل من الوالدين مع أنهما يشفقان على ولدهما برحمة من الله قدرها سبحانه بجزء من رحمته التى بلغت مائة جزء .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٢٢ .

(٢) سورة النمل ، آية ٦٢ .

إن كنت تثق فى رحمة والديك بك ، فثق يقينا برحمة الله العظيمة ، وتفاءل .

بعض الناس تغره ذاته ، فينسى فضل الله وعطاءه ، ويدّعي القدرة والسلطان ، ويتشبه بفرعون وملأهِ ، ويفرض سلطانه على غيره ، ويدّعي القدرة والتمكن ، ومنطقه هو منطق الظالمين كما يصوره القرآن الكريم .

يقول الله تعالى حاكياً قول فرعون للناس ﴿ **مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ** ﴾[١] .

ويقول سبحانه قاصاً مقال. فرعون. عن موسى عليه السلام ﴿ **إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ** ﴾[٢] .

ويقول سبحانه معبراً. عن مقالة قارون ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ** ﴾[٣] .

بعض الناس. يعيش بهذا. المنطق ، ولكني أؤكد لك أن. هذا المنطق مرفوض عند الناس ، وصاحبه لا مكان له في القلوب ، وإن نافقته الألسنة ، وبهرته الصور .

---

(١) سورة غافر ، آية ٢٩ .
(١) سورة غافر ، آية ٢٦ .
(٢) سورة القصص ، آية ٧٨ .

تفاءل إن كنت عاقلاً ، لأن التشاؤم لا يفيد ، إنه يقعد العقل عن التفكير ، ويملأ النفس بالقنوط ، ويغبر وجه العواطف بظلام وضباب .

لم لا. تتفاءل. وا.لأمر كله بيد سيدك. ، اجتهد ولا. تيأس. فلكل مجتهد نصيب ،. وعملك الصالح لن يضيع ،. تناله في الدنيا ، ويدخره لك سيدك. في ا.لآخرة ،. وعلمك الصالح صدقة جارية ، يستمر عطاؤها ،. ولسوف. يعطيك ربك ،. ويرضيك ،. ويمتعك بصحتك ، ويشفيك ، ويمدك بالأموال ويغنيك ، ويثبتك بالحق ، ويقويك ، إنه بك رءوف رحيم .

يموت. المجاهد راضياً بقدر. الله ،. ويحيا المضال. شقياً بمتع الدنيا .

إعمل ، وتوكل على الله ، وارض بما قسم الله لك .

لا تتعجل النتائج ، فلكل أجل كتاب ، ولله حكمة في تأخير الأماني ، وتأجيل تحقيق الآمال ، وتذكر أن النصر مع الصبر ، والفوز مع التحمل ، وهؤلاء هم رسل الله ﷺ صفوه الخلق لم يأتهم النصر فى اللحظة الأولى أو بغير عناء ، وإنما أتاهم بعد العمل ، والصبر ، والتحمل .

يقول الله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١) .

يتعرض الإنسان في مسيرة الأمل إلى محن ، وفتن ، وعليه أن يتحمل ، ويصبر لإظهار معدنه الطيب ، وليعلم أن النار تزيل صدأ الحديد ، والطعام لا يؤكل إلا بعد طهيه بالنار ...

يخبرنا الله تعالى أن هذا الابتلاء ضرورة لازمة ، يقول ﷻ ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٢) .

وقد عاش أصحاب النبي ﷺ محناً نصرهم الله ﷻ بعدها ...

فعن يوم حنين يقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

---

(١) سورة يوسف ، آية ١١٠ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٢ ، ٣ .

مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

وفي يوم الأحزاب عاش المسلمون لحظة الابتلاء ، والحرج واقترب اليأس منهم ، فجاءهم الفرج ، والنصر .

يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾[2].

وفي قصص القرآن الكريم أن قوماً من الصالحين الذين خلوا أصابهم الضر ، وطال بهم البأس حتى قالوا : متى نصر الله ؟ ، فأتاهم النصر قريباً على عكس تصورهم ، يحكى الله ﷻ قصتهم ، ويذكرنا بهم لنتأسى ...

---

(١) سورة التوبة ، آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٩ ، ١٠ ، ١١ .

يقول الله ﷻ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[١] .

سُئل عنترة : **كيف تنتصر في سائر معاركك ؟**

فقال : **أتلاقى مع الخصم ، فأضربه ويضربني ، وأعضه ويعضني ، وأينا أكثر صبراً ، وأقوى تحملاً هو الذي ينتصر في النهاية**[٢] .

أعلم أن مغريات الدنيا متنوعة الصور ، قوية الأثر ، وهى تمثل ضغطاً فكرياً ونفسياً على الإنسان يدفعه إلى اليأس ، والتشاؤم حين يعجز عن منالها .

وأعلم كذلك أن الدنيا بما فيها لا يصح أن يغتر بها المؤمن ، فمتاعها قليل ، وعمرها قصير ، والجري وراءها لا ينتهي ، وما عند الله خير وأبقى .

إن القليل مع رضى الله ﷻ خير من الكثير مع سخطه وغضبه ، فأدِّ ما عليك لله ، وتفاءل .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

(٢) الحين ثائرا ص٨٨ .

وإني لأعجب كثيراً لمن يتمتع بصحته ، ويعيش رغد يومه ويأمن في حركته ... ومع ذلك لا يتفاءل .

لو قارن عاقل بين أثر التفاؤل والتشاؤم على النفس لهجر التشاؤم إلى الأبد ، وإن تعددت دواعيه ، ولتمسك بالتفاؤل والرضى وإن قلت أسبابه .

أخى أيها الإنسان :

إن حدث أمر لا يسرك فانتظر انتهاءه فلربما خبأ الله تعالى ما يسرك بعده ، ولا تتعجل الحكم على ما يحدث فلربما تصورته ألما وهو الأمل ، ولربما كان على غير هواك وهو فى الحقيقة غاية ما تتمنى .

لقد عشت هذه الأحداث ، وتألمت منها لكنها أفادتنى ... ولو خيرت الآن بعد معرفة النتائج لاخترتها وتركت ما كنت أبغيه .

أخى أيها الإنسان :

إن ربك حكيم يحب من عبده أن يطلب منه ، ويتوكل عليه ، ويدع التدبير له سبحانه وتعالى .

أخي أيها الإنسان :

ما دمت تقيم في مملكة العزيز ، الحكيم ، العادل ، الرزاق ، الرحمن ، الرحيم ، فاستقم ، ولا تيأس ، وتفاءل ، وانتظر النصر والفلاح من رب العالمين .

♣ لم يشكر الله من لم يشكر الناس .

- ♣ صنائع المعروف تقي مصارع السوء .
- ♣ **ازرع جميلاً ولو في غير موضعه**

فلا يضيع جميل أينما وضع

- ♣ من عاش آمنا فى سربه ، معافا فى بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا بحذافيرها .
- ♣ يقول أحد الزهاد : لو علم الملوك ما نحن فيه لحسدونا عليه .
- ♣ لا تفسر الظواهر بما تراه فيها ، فلربما كان الخفى مؤلماً .
- ♣ دم مع الله فى كل حالاتك . فهو سبحانك معك أينما كنت .

العامل الثانى عشر

تذكر، واشكر كل من أسدى إليك معروفا

كل إنسان ناجح وراءه جنود مجهولون ، ولا يمكن تصور عظيم عاش وحده ، ووصل وحده لأن ذلك لا يكون .

عطاء الله الدائم للإنسان يحتاج من الإنسان مداومة شكر الله ﷻ ، والاستعانة به .

وكما يجب شكر الله ، وشكر رسوله ﷺ ، يجب شكر عباد الله الذين أجرى الله على أيديهم الخير ، وهم كثير .

وأول من يستحق الشكر بعد الله تعالى والرسول الوالدان ، فلقد تحملا كثيراً في الحمل ، والإرضاع ، والحضانة ، والتربية والتعليم بصورة طوعية ، وهم بما يعملون سعداء ، وبما ينفقون راضون .

أولادنا أكبادنا ∴ تمشى على الأرض

إذا هبت الريح على بعضهم ∴ امتنعت عينى على الغمض

يعيش الوالدان طوال عمرهم بقلوب معلقة بأبنائهم ، يرجون خيرهم ، ويتمنون إنقاذهم من كل ضرّ ، ويأملون رقيهم ، ونجاحهم إلى أقصى الممكن وفوقه ، بلا مقابل ينتظرونه، أو أجر يحصلون عليه ، فلقد أودع الله فيهم الرحمة ، والحنو ،

وعاطفة الوالدية بخصائصها ، ونشاطها .

يقول أحمد شوقي في مدح رسول الله ﷺ :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب

هذان في الدنيا هما الرحماء

لا تنقطع عاطفة الأبوة تجاه الأبناء ، ولو فارقوا الدنيا ، فلقد عشت هذه الحال حين توفي أصغر أبنائي " **عبد الله** " ، فبرغم يقيني بأنه وديعة الله عندي يأخذها كما يشاء ، في اجل يقدره ﷻ وبرغم تسليمي بحتمية الموت ، وضرورة الاستعداد لمجيئه المفاجئ ، وبرغم أني استرجع الأمر كله لله ، وبرغم أني أدعو إلى الاعتبار بالموت ، والاتعاظ به ... برغم كل ذلك فإن ولدي بذكرياته يعيش في قلبي ، والدعاء له مستمر في لساني ، ورؤاه في نومي توقظني نشطاً مرتاحاً ، إنه ولدي تحيطه عواطفي ، وأحلامي رغم انتقاله إلى ربه مطمئناً ، راضياً ... بإذن الله تعالى ، وأرجوه سبحانه أن يجمع بيننا فى مقعد الصدق عنده بقدرته ورحمته سبحانه وتعالى .

يستمر حرص الوالدين على ولدهما وإن كبر ، وصار رجلاً ... وهنا أذكر والدي . **رحمه الله** . وهو يوصلني إلى محطة القطار كل يوم وأنا في المرحلة الابتدائية الأزهرية ، وعمرى يومذاك أكثر من اثنتى عشرة سنة ، وكان ينتظر فى محطة القطار حتى يتحرك القطار ينظر نحوى داعياً لي بالسلامة والتوفيق ، ولم

ينقطع عن هذا إلا بعد أن رجوته بإلحاح (بسبب نقد الزملاء لى) ليتركني أعتمد على نفسي في هذا التحرك البسيط ، ومع ذلك كان يوصلنى إلى منتصف الطريق عند آخر بناء ، ويبقى بعيداً جالساً حتى يتحرك القطار .

إني أذكر فضل أبوي ، وأدعو لهما باستمرار ، وأسأل الله تعالى لهما أن يسكنهما فسيح جناته ، ويلحقنا بهما في مستقرّ رحمته يوم القيامة .

وعلى الأبناء أن يعرفوا أن نجاحهم واستقامتهم خير بر بالآباء ، لأن هذا المنجاح يغمر الآباء بالسعادة والرضى ..... ومازلت استحضر صورة والدى يوم حصولى على درجة الدكتوراه ، فلقد رأيته يمشى مبتسماً فى خيلاء الفارس المنتصر ، وزهو المطائر المغرد ، وابتسامة الفرح والسعادة ، فاحرص أيها الابن على تحقيق سعادة والديك بالنجاح والاستقامة ، وحافظ على برهما ، و قل لهما قولاً كريماً . يقول الله تعالى ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [١] .

وقد وضع الإسلام منهج برهما يعد مماتهما ، كما أمر به فى حياتهما ، وذلك بالدعاء لهما ، وإنفاذ وصيتها ، وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ...

وممن لهم دور مع الإنسان أساتذته وإخوته الذين أحاطوه بالعون ، وساعدوه فى صغره ، ومنهم من قام بدور الوالد الرحيم أذكر ذات يوم ذهبت لسفر ، وليس معى إلا أجرة القطار ، وإذا بأخى الأكبر " **عبد العال** " ، يأتينى قبل مجئ القطار بوقت قليل ، ويسلمنى مبلغ ربع جنيه (وهو يومذاك مبلغ كبير) أتى به أجره استلمها من عمل ، فى هذا الصباح الباكر فدعوت الله له .

وأذكر أن أخى " **محمود** " جلس معى مرة وأنا فى ضيق فقلت له : **جهزوا لى قطيعاً من الغنم أرعاه بعد التخرج** ... فإذا به تدمع عينه ويقول لى : **كيف تعمل ونحن موجودون تعلم والمسئولية علينا** .

وممن له دور صدق الصالحون ، والأقربون ... وغيرهم كثير.

ومن هنا ...

وجب على الإنسان أن يراجع نفسه بين الحين والحين ، ويذكر

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

كل من أسدى معروفاً إليه ، وأن يحاول مكافأتهم على صنيعهم ، وفاءً لدورهم ، وطاعة لرسول الله ﷺ ، وهو يقول : " **من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له** "[١] .

واستجابة لقول الله تعالى في الحديث القدسي : " **عبدي لم تشكرني إن لم تشكر من أجريت لك الخير على يديه** "[٢] .

وإن فاتك الواجب مرة ، فلا تجعله يفوت بعدها ، وخير الناس من يراجع نفسه ، ويتذكر ما يفوته ، وينصح نفسه بنفسه .

والعظماء هم الذين يبدأون بالمعروف ، يؤدون لكل محتاج حقه ، وكلما رأوا اعترافاً بدورهم ضاعفوا القيام به .. ولذلك وجب شكرهم .

أخي أيها الإنسان ..

اعلم أن المعروف لا يضيع يقول الله تعالى ﴿ **وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** ﴾[٣] .

لا تستصغر معروفاً تؤديه ولو بابتسامة وكلمة ، لأن الكلمة الطيبة صدقة ، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء .

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الزكاة ج٢ ص٢١٢ .

(٢) مجمع الزوائد ج٨ ص١٠٩ .

(٣) سورة فصلت ، آية ٣٤ .

يقول حكيم :

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه

فلا يضيع جميل أينما وضع

إن الاعتراف بالمعروف تنمية له ، وازدياد فيه ، وهو مع الله واضح في قوله ﷻ ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[١] .

إن الإقرار بالجميل دليل صدق صاحبه ، وبرهان على إنسانيته ، وإشارة إلى استحقاقه ما كان له .

أنكر قارون فضل الله وعطاءه . وقال ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[٢] . فكان جزاؤه أن خسف الله به ، وبداره ، وبماله الأرض ، وما بقى له شئ .

- ♣ اللهم ارزقني شكرك الدائم آناء الليل ، وأطراف النهار .
- ♣ اللهم أنت صاحب الفضل كله ، وبدونك لا أقدر على شئ ، فلك الشكر ، ولك الحمد .
- ♣ اللهم أعنى على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك .
- ♣ اللهم وكافء كل من أسدى إلىّ معروفاً ، وعَوِّضْه خيراً عما فعله معى .
- ♣ رب اغفر لي ولوالدي إليك المصير .

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٧ .

(٢) سورة القصص ، آية ٧٨ .

- اللهم انصر إرادتي على أنانيتي ، واجعلني عبداً شكوراً آمنا .
- اللهم ألهمنى الإقرار بالحق ، وثبتنى على رد الجميل .
- اللهم لا تجعل جحود من عاشرنى لمعروفى سبباً لتكاسلى فى أعمال الخير .
- اللهم عظم الغير وعمله معى فى عينى ، ونسنى ما أعمله للآخر ، فهو عطاوك وعملك .
- اللهم اجعل أبنائى بررة ، وأعطهم الذرية الطيبة الصالحة .
- اللهم انشر فى ذريتى الصلاح والتقى ، وحب الخير والعدل ، وانصرهم على كل باطل يعاديهم من الجنة والناس .

ـ الخاتمــة ـ

- ♣ اللهم تقبل عملى هذا ، واجعل له ذكراً فى الدنيا ، وذخراً فى الآخرة .
- ♣ اللهم ما وفقتنى إليه من عمل وجهد وصفاء فهو منك ، وما وقعت فيه من سوء فهو منى ، ومن الشيطان فاغفر لى .
- ♣ اللهم إنى ما قصدت زهداً بما ذكرت ، ولا استعلاء بما رويت فضعه يارب عند الناس بقدر نيتى حتى لا أتهم بشئ لا أقصده .
- ♣ اللهم إن عوامل النجاح التى ذكرتها هى بفضلك وقدرتك فورثها ذريتى . واجعلنى من عبادك الصالحين .
- ♣ اللهم وفقنى لأداء حق نفسى ، وحق غيرى ، وحق كل من له حق على .
- ♣ اللهم علمنى ما جهلت ، ووفقنى فيما علمتنيه .
- ♣ اللهم احينى بالإسلام ، وأمتنى عليه ، واحشرنى فى زمرة المؤمنين الصادقين .
- ♣ اللهم حبب ما كتبت فى النفوس ، وزين العمل به فى الحياة .

- ♣ اللهم أشكو إليك خطأ من ظلمنى ، وعدوان من جهل حقوقى ، ويصور نفسه على صواب .
- ♣ اللهم قو إرادتى ليطول صبرى ، ومتن عزيمتى لتستمر مقاومتى ، ولا تكلنى إلى نفسى حتى لا أضل أو أضل .
- ♣ اللهم أفصل بينى وبين كل ظالم جهول .
- ♣ اللهم بارك فى أولادى ، واجعلهم مع أبنائهم من العلماء العاملين الصالحين .
- ♣ اللهم اجعلنا من الراشدين .

آمـــين ،،،

د. أحمد أحمد غلوش

المحـــتويات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة : سبب تأليف الكتاب	٥
القسم الأول	
الحمد لله هذه حياتى	١٥
القسم الثانى	
أسباب النجاح وعوامل تحقيق الأمل	٧٢
العامل الأول :	
استعن بالله فهو رب العالمين	٧٤
العامل الثانى :	
ليكن أمامك هدف	٨٩
العامل الثالث :	
قم بالعمل الذى يخدم الهدف	١١٠
العامل الرابع :	
قو عزيمتك بقهر التمرد داخلك	١٢٣

العامل الخامس :

اتخذ لنفسك صديقاً مخلصاً ١٣٠

العامل السادس :

تأمل تجارب الناجحين ١٣٧

العامل السابع :

تزود بالمعرفة وتعلّم ١٤٤

العامل الثامن :

الآخرون لهم حقوق مثلك فحافظ عليها ١٥٣

العامل التاسع :

كن شمعه تضئ للناس ١٦٢

العامل العاشر :

حافظ على كيانك فأنت إنسان ١٧١

العامل الحادى عشر :

تفاءل دائماً فأنت فى مملكة الرحمن الرحيم ١٧٨

العامل الثانى عشر :

تذكر ، واشكر كل من من أسدى إليك معروفاً ١٨٧

﴿والحمد لله رب العالمين﴾